روايات عبير

روبرتا ليج

المربية الحسناء وعدوّ المرأة

www.elromancia.com
مرمورية

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

«ABIR» - No. 225

المربية الحسناء وعدو المرأة

عندما سافرت إيما المدرسة فى أحد رياض الأطفال فى فربتها بالقرب من لندن؛ لتعمل مربية لإبنة بريت آدامز فى البرازيل؛ كانت تتوقع مواجهة بعض المتاعب مع هذا الرجل الشهير كبطل سباقات سيارات؛ وفى نفس الوقت تأمل أن تساعدها إقامتها لفترة ستة شهور على إستعادة حيويتها وصحتها التى تدهورت بعد وفاة والدتها

لم يكن يخطر ببالها أبداً أن تكون رحلتها بداية لحياة جديدة لم تكن تحلم بها.

من النظرة الأولى أحبت هذا الرجل، ولكنها ظنته حباً من طرف واحد؛ فهو مغرم ببطولاته، يجاهر بعدائه للمرأة، يتهمه أصهاره بأنه السبب فى موت زوجته وإبنتهم الحسناء إيلين.

فجأة يتقدم لخطبتها وطلب زواجها؛ فقط بدافع الحرص على رعاية ابنته، زواج دون حب زواج مصلحة، فهل توافق؟؟

لبنان	٢٢٥٠ ل ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	U.K.	2,40
سورية	٤٠ ل س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د	France	F 16
الأردن	١,٥ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	Greece	Drs 320
العراق	١,٢ ق	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د	Cyprus	P 2,40
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر ع	مصر	٣٠٠ ق		

الفصل الأول

المربية الحسناء

عندما أقلعت طائرة الخطوط البرازيلية فوق الممر الجوى، شاهدت إيما فيلدنج أرض مطار هيثرو الممتدة أسفلها، وشعرت بلحظة إغماء. لقد أصابها الجنون عندما قبلت تلك الوظيفة فى الطرف الآخر من المعادى، وأن تعمل طرف شخص لم تقابلة مرة واحدة. وكان جنونها لا مثيل له وهى تعرف أنه زير نساء مثل بريت آدامز!!

تلفتت حولها وهى تشاهد باقى المسافرين جالسين فى إسترخاء؛ وشعرت بزوال توترها. بعد كل شىء؛ ماذا يهم إبتعادها عن إنجلترا كل هذه المسافة وبحوزتها تذكرة عودة؛ وبإمكانها دائماً العودة لوطنها لو لم يعجبها الوضع. ولكنها لن تجد منزلها كما هو؛ فالآن والدتها توفيت ــ وهذا بالضبط هو السبب الذى دفع الدكتور تشارلز والبول طبيب العائلة وصديقها، لنصحها بالغياب فصلاً دراسياً عن مدرسة التمريض، والسفر لتغيير الجو المحيط بها.

قال لها «لقد كنت تعملين بأقصى جهدك فى وظيفتك

وفى نفس الوقت برعاية أمك، والآن حان الوقت لتبدأين فى الإلتفات لنفسك».

سألته «وما أفعل؟»

«ما رأيك فى قضاء شتاء مشمس فى البرازيل؟»

«أتمنى فرصة عظيمة كهذه!!»

«وما المانع يمكنك الوصول إليها بالطائرة!!»

«ماذا تعنى؟»

«هناك وظيفة رائعة لك فى منزل على شاطىء البحر على بعد ساعات من ريودجانيزى»

«مؤكد أنها مهمة صعبة!!»

«لا صعوبة على الإطلاق. كل ما ستقومين به هو رعاية طفلة إبنة سبعة أعوام حتى يدخلها أباها لمدرسة داخلية فى إنجلترا».

«كيف عرفت عن تلك الوظيف؟»

«والد الطفلة إبن صديقى القديم من يوركشاير، وذكرها لى أثناء محادثة تليفونية».

ردت أيما «لا أوافق على إدخال طفلة فى عامها السابع مدرسة داخلية».

«ولا أنا، لكن فى حالة ساندى فهو الحل الأمثل، فهى يتيمة الأم، والبديل هو مصاحبتها لأبيها فى رحلاته ــ وهى دائمة من وقت لآخر، ورغم أننى أعتقد أن كثرة الترحال والتنقل يؤثر عليها».

«فعلا كثرة الترحال والسفر يجعل الطفلة غير ملتزمة».

لمعت عيونها العسلية البراقة علامة عدم الرضا والإرتياح لتفسيره. فعيونها أفضل ملامحها المميزة، برموشها الطويلة

الأهداب، وشعرها الفارع بلونه العسلى وهو يتهدل فوق كتفيها؛ وبشرتها التى تجمع بين شعاع الشمس ونصاعة الثلج، وقامتها النحيلة الرقيقة والتى تشبه صور فتيات فى كتب الأطفال فى العصر الفيكتورى، تلك الفتيات التى تتماوج فى حدائق الزهور، وفضلاً عن جمالها تتمتع إيما بذكاء خارق وعزم صارم، ومزيج من الرقة والنعومة والحيوية والعناد الذى يخلب ألباب الرجال.

ورغم أنها لم تجد وقتاً للإلتفات لنداء عواطفها؛ فبعد تخرجها إنشغلت برعاية أمها المريضة ولم تجد حتى الفرصة لممارسة حياتها الإجتماعية. لكل كل هذا صار ماضيا. وأصبحت يتيمة ــ وحيدة فى عالم لا يرحم، ويجب أن تبنى حياتها بنفسها.

وبكل نزاهة وصدق؛ فهى لا ترحب بفكرة البقاء فى مدرسة التمريض بقريتها، رغم إدراكها لصعوبة تأقلمها وتكيفها مع حياة المدينة وإيقاعها اللاهث. ولهذا، يبدو أن وظيفتها المؤقتة فى البرازيل هى أفضل بديل لها، وقفاً لنصيحة طبيبها.

سألته «من هو بالضبط الذى سأعمل لديه؟».

«بريت آدامز».

«سائق سيارات السباق؟»

«نعم».

علت وجهها تكشيرة، فهذا يضفى تعقيداً جديداً على الوظيفة. فهى لم تعاشر أبداً المشاهير، وهذا متميز، دائماً إسمه يقاسم إسم الأميرة ديانا فى إحتلال مانشيتات الصحف، بل وشهرته تسبق شهرتها.

«أخشى أن هذا لا يفيدنى، وأننى لا أستطيع العمل لديه.

فهو شخصية متعصبة عدو للمرأة، وعندما سمعته فى حوار إذاعى كدت أحطم الجهاز!!».

«وظيفتك رعاية ابنته، وليس رعايته. عموماً؛ لو كنت إمرأة متحررة فماذا يضرك بقبول وظيفة سهلة فى مكان مشمس، تتيح لك تهدئة أعصابك؟».

كان صحبته مؤثرة وقوية، وكسب قبولها. فهى تفضل رعاية طفلة عمرها سبعة أعوام على رعاية دستة أطفال أعوامهم لا تزيد عن الرابعة!

وهكذا واصل الدكتور تشارلز وابدل حديثه «كل ما تحتاجينه هو الإقامة فى منزل فخم على الشاطىء حتى تستردين صحتك، ولن تشاهدين بريت إلا نادراً، إن كان هذا ما يزعجك. فهو دائماً يشارك فى سباقات السيارات حول العالم. وهو متلهف على سفرك لرعاية إبنته».

بسرعة وبعد إستعدادها وجدت إيما نفسها فى طريقها إلى ريو دى جانيرو، فى أحد ليالى شهر إكتوبر الباردة، وهى تتساءل ماذا سينتظرها هناك.

لكنها عجزت بكل خيالها عن تصور ذلك الجمال الذى شاهدته وهى تقترب من المطار، تلك السماء الصافية وأشعة شمسها، وهى تهبط من الطائرة على أرض المطار لفحت وجهها حرارة ودفء الجو، وحملقت إلى قمة الجبل التى تشبه قمع السكر حيث يقف تمثال السيد المسيح.

وهى تتيه سروراً سارت خلف جموع ركاب الطائرة إلى مبنى المطار، ووجدته مزدحماً بكل الناس من جميع أجناس البشر.

لم يكن لديها متسع من الوقت لتقف وتشاهدهم، فهى

مضطرة للإسراع للحاق بالطائرة التى تقلع بها مسافة خمسمائة ميل إلى مدينة إيمبرا على الشاطىء؛ حيث تجد من ينتظرها ليوصلها مسافة خمسة أميال أخرى إلى قرية ميرتولا، حيث بنى بريت آدامز منزله ومهد مضمار تدريباته.

عندما لمحت الطائرة التى ستقلع بها، كانت على وشك التراجع والإسراع بالهرب، فهى طائرة صغيرة تشبه ماكينة الخياطة ولها جناحين، وهى تخاف من هذا النوع من الطائرات ولا تؤمن بقدرتها على الطيران فى أمان؛ رغم أن باقى المسافرين لا يبدو أنهم مهتمون بذلك. بل يصعدون سلمها فى هدوء.

حسناً، وقالت لنفسها لو كان البرازيليون لا يخافون فلماذا تخاف هى، ألم تأتى من البلد المتقدم صاحب اليد العليا؟ وأجبرت نفسها على الصعود والجلوس فى مقعدها وربطت حزامها.

بدأت المضيفات ببشرتهم البرونزية وشعورهن السوداء الفاحمة يتحركن عبر الطائرة لبث الطمأنينة فى الركاب، وظلت إيما لفترة طويلة ممسكة بمسند مقعدها حتى أقلعت الطائرة وحلقت فى السماء، وبدأت تسترخى وتهدأ. وتناولت فنجان القهوة من يد المضيفة؛ وأسعدها أنها قهوة قوية، فهى لم تنم منذ مغادرتها لندن، وهى حاجة للقهوة لتظل متيقظة حتى تلتقى بمخدومها الجديد!!.

والآن تستعيد هدوئها فى جو الطائرة، وتستعيد ثقتها بنفسها، وهى تنظر عبر النافذة. الآن تطير الطائرة على ارتفاع منخفض وبدلاً من الطيران وسط السحب مثل رحلتها من لندن، الآن تشاهد بانوراما رائعة: جبال تكسوها الأشجار، شواطىء ذهبية، وجزر تتناثر فوقها أشجار النخيل.

يذكرها مطار إيميرا بمطار فى أحد الأفلام الأسبانية القديمة شاهدته منذ أعوام، بممره المنعزل؛ ومبناه الصغير الذى يتجاهله الركاب عادة، ويقفون بجوار الطائرة حتى يتسلمون حقائبهم قبل إنصرافهم دون المرور عليه.

خلال لحظات وجدت إيما نفسها وحيدة فى صالة الوصول. لم تجد أحداً فى إنتظارها، وكان الجو شديد الحرارة؛ ولم يغير جهاز التكييف شيئاً سوى ضوضاء صوته !!.

جلست على مقعد بلاستيكى أزرق، وهى تنتظر نافذة الصبر، وبعد نصف ساعة ذهبت إلى مكتب بيع التذاكر وفحص الحقائب والإستعلامات لتسأل إن كان أحداً قد ترك لها رسالة، ولم تجد أحداً، وليست هناك طائرة أخرى قادمة من ريو. حسناً، على الأقل هذا درس لها، لأن بريت آدامز لن يتواضع ويجىء لمقابلتها !!.

إنتابتها المخاوف فهى قد قطعت مسافة طويلة تبلغ نصف المسافة حول العالم، ولم يبلغ أمامها سوى بضعة أميال وتصل إلى منزله ومع ذلك تستثقل وقاحته البالغة لعدم إنتظارها.

عادت لتجلس على مقعدها، ولمحت صورتها على المرآة المثبتة على الجدران، وقالت فى سرها، ياربى !! يجب أن أغسل وجهى بماء بارد؛ وتناولت حقيبتها ودخلت الحمام، وغسلت وجهها ومشطت شعرها، هذا أفضل مما كانت عليه !! فيجب أن تلقى صاحب العمل بوجه غير كئيب !!

وهى تتفحص بدلتها القطنية الوردية أسفت لأنها إرتدتها، فهى رغم تحملها مشقة السفر إلا أنها تلتصق بجسدها وتجعلها تبدو أصغر كثيراً ولا تبدو صالحة لوظيفة مربية.

جاهدت نفسها حتى لا تتدهور معنوياتها وعادت إلى

الصالة. وبمجرد أن استقرت على مقعدها لمحت رجلاً طويلاً رشيقاً فى بداية الثلاثينات يدخل الصالة وهو يتلفت حوله، ثم تقدم ناحيتها؛ وعندما إقترب منها، وإبتسامة مرحة ترتسم على شفتيه وعيونه الزرقاء الشاحبة تلمع ساخرة وهو يقول لها «أنت الآنسة فيلدنج» وأومأت إيما موافقة وتناول يدها فى يده «خمنت أنك من بشرتك الشاحبة !! وآسف على التأخير وأتمنى أن تسامحيننى ؟»

«طبعاً» فعلا سامحته فها هو الآن !!.

أشار لأحد الحمالين لحمل حقيبتها وقادها إلى سيارته؛ التى كانت تتوقعها سيارة رياضية وإندهشت عندما وجدتها سيارة فولكس ستيش رمادية، وإندهشت أكثر لبساطته ولطفه وداعبته وهى تشعر بإرتياح شديد له؛ وهى تقول فى سرها لو أن ساندى لطيفة مثل والدها إذن ستصبح شهور عملها القليلة القادمة إجازة مريحة أكثر من كونها عمل !!

وهما يسيران على الطريق الرئيسى، حدقت إيما فى الرجل الجالس بجوارها، من جانب وجهه يبدو أصغر كثيراً، فهو وسيم وجذاب.

شعر بها تراقبه والتفت مبتسماً متسائلاً «كيف كانت رحلتك ؟».

«رائعة، فقط نامت لضيق الوقت وعدم مشاهدتى ريودى جانيرو».

«ربما تشاهدينها فى طريق عودتك للوطن أو ربما آخذك معى فى أحد عطلات نهاية الإسبوع ؟».

«شكراً لك، لكننى لا أريد إزعاجك».

«مشكلتى هى الإعتناء بالفتاة الرقيقة !!».

«أنا واثقة أنك تعرفت على من هن ألطف وأجمل منى، فى مهنتك مؤكد أنك هدف رئيسى للنساء صائدات المشاهير!!».

رد مندهشا «فى منتهى؟ أنا لست بريت آدامز!! أنا بل ساندرسون ــ مدير أعماله».

«ياه»!!

كشر بل ساندرسون «يا لها من آهة واضحة مؤثرة؛ لكننى تعودت عليها».

«تعودت على ماذا؟».

«مشاهدة فتاة يخيب أملها عندما تكتشف أننى لست بريت، هكذا الأنثى تسعى خلف جاذبية الرجل!!».

مؤكدة له «هذا لا ينطبق على».

«هذا ألطف شىء يمكنك أن تقوليه لى ويمكننى أن أقول أنك ستكونين صريحة ومسلية وإضافة ثمينة لمقتينات المنزل!! وأتمنى أن تجدينه ممتعاً أيضاً».

إعترفت «لست واثقة، بصراحة، أنا قلقة من عملى مع مشهور وكنت غالباً على وشك رفض الوظيفة».

«أنت تستأثرين على إحترامى!! دائماً الفتيات يتلهفن على العمل عند بريت».

«وهذا ما يقلقنى!!».

«لا تلتفتى للشائعات».

«أليست حقيقة، إذن؟».

«لنقل أنها مبالغات؛ بالتأكيد بريت يحب النساء ــ وهل لا يحبهن الرجل العادى؟ لكنه لا يزعج من تعمل معه، وهو يقضى تسعين بالمائة من وقته فى التدريب، وهذا يرهقه ذهنياً

وجسمانياً. ولهذا فكل تلك الليالى الحمراء التى قرأت عنها يجب أن يعاد النظر فيها، فيها كما قلت مبالغات!».

لمحت إيما قرية ميرتولا أمامهم؛ ولهذا فضلت تغيير دفة الحديث وسألته «كم بقى حتى نصل للمنزل؟».

«أصبحنا على مقربة؛ المنزل يبعد عدة أميال إلى الشمال».

«هل الجو دائماً شديد الحرارة هناك؟»

«رد بيل مبتسماً «هذا يعتبر جوا بارداً!! وسوف تعتادينه بسرعة».

وهى تنظر من النافذة «أتمنى ذلك» وهى تشاهد الشاطىء الرملى الفضى المهى يحتضن البحر الأزرق الرمادى وأمواجه الهائجة «هل البحر يسمح بالسباحة فى أمان؟».

«فى الحمام أو أحواض السباحة!! هناك أطواق نجاة يجب أن تحملها للبحر، وعموماً بريت لديه حوض سباحة ونحن أحرار فى إستخدامه».

«هل هذا هو منزل السيد آدامز الدائم؟ وآسفة لكثرة أسئلتى لكننى لا أعرف شيئاً عنه!!»

رد مداعباً «فيما عدا ما قرأته!! لكن لا، منزله الأصلى فى يوركشاير، حيث تصنع سيارته ولقد تزايدت مبيعاتهم وتضاعفت مئات المرات بعد بدء بريت الإشتراك فى سباقات السيارات، وأصبح دعاية رائعة للشركة».

«أليس بإمكانه تحقيق شهرة أقل خطورة؟»

رد بيل محذراً «لا تقولى مثل هذا الكلام أمام بريت»

«ماذا غير ذلك يجب أن أكون حريصة تجاهه؟ فأنا لا أريد أن أضايقه».

www.elromancia.com

«حسنا، لا يريد الأنثى الضعيفة أو العنيدة التى تعترض طريقة. وأيضاً لا يصبر على الملتاعة الهلوعة، ولا يطيق الحماقات».

علمت إيما «يبدو مثله مثل أى رجل آخر» وقهقه بيل «ليس تماما؛ لكننى سأدعك تفهمين الفارق بنفسك!».

أوقف بيل السيارة أمام الباب ثم دخل عبر ممر طويل، المحاط شجيرات خضراء جميلة غاية فى التنسيق وأزهار جميلة المنظر ــ وطيور تغرد بسعادة فوقها.

بعد ربع ميل وعند منحنى أخير؛ لمحت إيما المنزل المبنى بأحجار بنية بشرفته الخشبية الواسعة وأعمدتها الدائرية وهمست «كم هو جميل!! فعلا ملائم للإستقرار والراحة».

«لقد صممه بريت بنفسه».

سمعت صوت محرك سيارة يزمجر أطلت وقالت «صوت سيارة سباق».

رد بيل «طفلته الجديدة!! آدامز ثلاثة، وصلت هذا الإسبوع فقط، وبدأ يجربها».

«ماذا يعنى هذا؟ وأنا جاهلة بأمور السباق، ولا داعى لإنكار ذلك».

رد بيل «ولاتتظاهرى بعكس ذلك أمام بريت؛ فهو لا يكره أحد قدر كراهيته لمن يزعم أنه يعرف شيئاً عن السباق لا يعرفه» لكنه تذكر سؤالها «بريت يجرب السيارات فى المضمار الذى يمتد حول المنزل إلى الشمال والغرب».

«تقصد أنه بعد تجريبها سيعيدها إلى إنجلترا؟».

«أحياناً. ولكنها تعمل عادة».

غمغمت إيما «يبدو أنها مهمة شاقة».

«يمكنك أن تكررى ذلك!!، هناك شىء آخر، لاتنتقدى السباقات، هذا يثير أعصابه وكما قلت؛ فهى حياته كلها».

لم تطق إيما صبراً على سؤالها «أين تقع إبنته فى حياته؟».

شرد بيل لحظة، وكشر وقال «هى أحد جوانب حياته أيضاً، لكننى أتحدث عن عشقه ومتعته المقصورة على السيارات».

وطمأنته إيما «هذا موضوع لن أقترب منه أبدا؛ فأنا هنا لرعاية إبنة السيد آدامز فقط».

«يسعدنى سماع هذا، وأتمنى لو كان تفكير الباقين مثلك».

«الآخرين؟».

«المربيات الأربعة السابقات اللاتى طردهن بسبب إنشغالهن بالسباق!».

قالت وهى تتبعه نحو الباب «لن يواجه مثل هذه المشكلة معى، أنا متلهفة على رؤية ساندى، أين هى؟».

«مختبئة على ما أظن، فهى تكره المربيات ولم تطق المربيتن السابقتين».

دخلت إيما المنزل، وإشتعل حماسها وهى ترى الصالة الميدانية الواسعة بأرضيتها المرمرية الناصعة، ومائدتها الرخامية والفازة الكريستال فوقها.

صاحت متعجبة «يالجمالها الرائع!!».

بدا بيل مسروراً «دقيقة حتى أحضر حقيبتك».

خرج بيل ثانية، وسمعته إيما يتحدث مع أحدهم.

عاد بيل إلى الصالة ومعه حقيبتها «بريت قادم؛ لم أطق

www.elromancia.com

جراً وهو يقابلك ، أنت مختلفة تماماً عما يتوقعه » .

« ماذا تقصد ؟ » .

« سأدعه يقول لك بنفسه » .

قبل أن تحتج ، إنزوى جانبا ، ليدعها تلمح الرجل الذى تعمل عنده .

الفصل الثانى

لقاء

من أول نظرة بدا بريت آدامز رجلاً مكتمل الرجولة والوسامة ، بقامته المديدة وكتفيه العريضين ، وذراعين مفتولين بعضلاتها ؛ وجهه مستطيل وخدوده عالية ، وأنف دقيق ، وفم متناسق .

على وجهه الآن علامات عدم إستحسان وفى عينيه التى ترمقانها ، وتعجبت من ضعف أعصابها الذى يجعلها مهمومة هكذا من نظراته .

سألها « الآنسة فيلدنج ؟ » .

كان صوته قويا ومؤثرا مثل عيونه وصافح يدها « أنت أصغر مما توقعت ؛ تخيلت أنك فى الثلاثينات من عمرك » .

« دكتور والبول أخبرك بذلك ؟ »

« لا ، لا ؛ مجرد توقع وإنطباع من رسالتك ، بعيداً عن إسم — إيما كونستانس فيلدنج ، وهو إسم يرتبط بالكاد بمراهقة !! كم عمرك هو ثمانية عشر ؟ » .

رفعت رأسها « ثلاثة وعشرين ، وكل شىء ذكرته فى

www.elromancia.com

رسالتى حقيقى؛ أنا مدرسة تمريض مؤهلة لرعاية صغار الأطفال».

رد بدون ابتسام «خبرتك ستوضع بالتأكيد محك التجريب والإختيار مع ساندى؛ وأشك أنك تستطيعين السيطرة عليها».

«هل دائماً لك أحكاماً مسبقة يا سيد آدامز؟».

رمقتها عيونه بالنظرات الفاحصة وفهمت أنه لم يعتاد الرد عليه بالسؤال؛ لكنها لم تعجبها لهجته ولم تجد مبرراً للتعامل الفج، وعموماً فالأدب لن يكلف شيئاً.

تجاهل سؤالها وإستطرد «أفترض أنك قادرة على تطوير قدرات ساندى».

«هذا جزء من تدريبى».

«جزء؟ ماذا يمكنك أن تفعليه غير ذلك؟».

«التعامل مع أطفال شاكسين، ومعرفة دوافع وأسباب سلوكهم. فالهياج دليل على ملل الطفل، بينما..»

«وهو كذلك يا آنسة فيلدنج، أوضحت نفسك بما يكفى، لكننا سنحتاج كل خبرتك للتعامل مع إبنتى خلال عامين تداول عليها خمس مربيات. وهذا دليل كاف على وضعها».

«لدى انطباع بأنهن تركن عملهن بسببك وليس بسبب إبنتك» ثم ندمت عندما وجدته يرمق بل جيبونز بنظرة غاضبة وإعتذرت «آسفة، هذه رعونة منى»

رد ببرود «جداً، لم يكن سلوكى هو السبب فى رحيلهن».

«أعرف، و.. وأريد فقط أن أقول لك لن تجد صعوبة أو متاعب معى».

أمر بل «بل خذ الآنسة فيلدنج لتقابل ساندى»

«أليس الأفضل أن تقدمنى بنفسك لإبنتك؟».

«لا أرى سبباً لذلك، فهى تعرف أننى مشغول جداً؛ وهذا مبرر وجودك هنا. لتشعر بها بالسعادة وتبعدينها عن طريقى» إستدار على عقبيه ثم إلتفت إليها وقال «بالمناسبة ستتناولين طعامك مع ساندى، فيما عدا أيام الأحاد. عندما أكون موجود هنا ستتناولان طعامكما معى».

ردت ببرود «كم هو لطيف منك».

دون أن ينبس ببنت شفة خطا داخل الغرفة المواجهة لها وأغلق بابها خلفه.

غمغم بيل «كنت أتوقع بداية أفضل من هذه؛ لكنك تشعلين شرارة الغضب، أليس كذلك».

تنهدت إيما «فقط عندما يشعل أحدهم عود الثقاب!!، وأوافقك أنها بداية فظيعة لكنه فظ وقاسى بمجرد أن رآنى وبإسلوبه معى فقدت أعصابى».

نظر إليها بيل متفحصا «حاولى أن تنظرى للأمر من زاويته، كان يتوقع مجىء سيدة كبيرة السن مجربة ولكنه فوجىء بك!! هل غمرك فعلاً ثلاثة وعشرين عاماً؟».

«معى جواز سفرى ليؤكد ذلك» وبدأت تفتح حافظتها، لكنه هز رأسه معترضا فتوقفت، وإنحنت لتتناول حقيبتها الصغيرة.

أمرها بيل «أتركيها، سيحملها لك أحد خدام البيت».

«ربما أفضل أن أترك معظم حقائبى هنا إستعداداً لرحيل هادىء!!».

قهقه بيل «ليس سيئاً لهذه الدرجة. فى الغد سينسى بريت الأمر كله».

www.elromancia.com

ليست واثقة أنها مقتنعة بذلك وقالت فى شرود «هل هو دائماً هكذا سريع الغضب ؟» .

«أحياناً يكون أسوأ !! ياه لاتنزعجى هكذا ــ كنت أمزح !! لكن مجيئك لم يحالفه التوفيت المحظوظ ؛ فهو الآن عصبى المزاج بسبب مشكلة تواجهه فى السيارة . وسنضطر لإدخال تعديلات عليها وهذا سيسرق من وقت تدريباته » تحرك متجهاً ناحية السلم وقال «تعالى ، هيا لنبحث عن ساندى» .

سارت إيما خلفه وصعدت السلم إلى الطابق الأول ، وقطعت الممر الواسع بين صفين من الغرف . كان جناح الطفلة فى النهاية ، ومكون من صالة واسعة تفتح على غرفة نومها الواسعة والملحق به حمامها . لم يكن هناك أى علامة على وجود ساندى ؛ ورغم مناداة بيل عليها لم تظهر .

قال بيل «مؤكد هى مختبئة ؛ سأطلب من الخدم البحث عنها» .

لمحت إيما حركة ضعيفة خلف الستائر ولكنها تظاهرت بعدم رؤيتها ، وقالت له «أفضل ألا تفعل ذلك الآن ، فأنا لا أريد رؤيتها الآن» .

«فى هذه الحالة سأنفذ رأيك» .

«لم أرى غرفتى بعد !!»

«هكذا نسيت ذلك !!»

قادها إلى غرفة تطل على حمام السباحة كانت بسيطة الأثاث أرضيتها لامعة مغطاة بسجادة من صناعة يدوية ؛ وفى

الركن البعيد مقعد مغطى بخشب عليه نقوش جميلة لم ترى مثله من قبل .

وهى تتفحصه باهتمام سألت بيل «ما إسم هذا المقعد ؟» .

«الخشب البرازيلى وهو شائع الإستخدام هنا» .

إعترفت «لا أعرف سوى القليل عن هذا البلد» .

«هذا حال معظم السائحين والزوار ؛ لكن بمجرد مجيئهم هنا ، يتلهفون على تكرار الزيارة فالبرازيل تتميز بكل شىء الفضاء الفسيح ، مشاهد رائعة وأجمل الورود» .

إبتسمت «تتحدث وكأنك مرشد سياحى» .

«السفر متعتى الكبرى» وهو يتجه ناحية الباب «بالنسبة لطعامك ؛ أعرف أن بريت يريدك أن تتناولين الإفطار والغذاء مع ساندى ، لكن لا يهمه ألا تتناولين العشاء معها» .

«لا أعتقد بالتأكيد أنه إقترح تناولى العشاء معه» !

«أدرك ذلك ؛ ما أقصده أن تتناولين العشاء معى وباقى العاملين ؛ لو أردت . غالباً ما أخرج لتناول العشاء أيضاً ؛ ويسعدنى لو إنضممت لى ؛ فى الواقع لو كنت مستعدة الليلة ..»

«ليس الليلة ، شكراً . أريد مقابلة ساندى بأسرع ما يمكن ؛ وأيضاً سأنام مبكراً» .

«من سرعة بديهتك توقعك إختباء ساندى خلف الستارة» .

«ليس هكذا . فهى تريد مضايقتى ، ونصف متعتها يتوقف على إنجاح حيلتها وكأننى لم أراها . ولهذا لا أرى أنها ستختبأ طويلا» .

«ولماذا تتظاهرين بعدم الإهتمام بمقابلتها ؟»

www.elromancia.com

«بالضبط ؛ لأنها لو إعتقدت أننى غير مهتمة ستأتى وتسعى هى للبحث عنى».

«ولو لم تفعل ؟»

«عندئذ سأستريح وأنام مبكراً، وفى الصباح، سيكون فضولها قوياً».

ضحك بيل «ساندى المسكينة ستجد بغيتها عندك».

«ليس هناك مجال للشك فى ذلك !!»

غادرها بيل وجلست تفرغ محتويات حقائبها.

وهى تبدأ تفريغ حقيبتها الثانية إنفتح الباب وإندفعت ساند مقتحمة الغرفة، بنفس ملامح والدها ؛ وكانت إيما على وشك الإنفجار ضاحكة لولا أمسكت نفسها ورمقتها بنظرات صامتة.

كانت الطفلة أطول من عمرها ؛ ووجهها نحيل وأنفها وذقنها مدببة، وشعرها معكوص للخلف فى ضفيرتين. عيناها مثل لون عيون أبيها أيضاً: بنية لامعة، وهى تتصرف بمثل عصبيته.

صاحت ساندى بصوت مرتفع «أنتى مربيتى الجديدة ؛ لن تطيل فترة إقامتك هنا !!».

إبتسمت إيما شاردة ومدت يدها لتصافحها «أهلا يا ساندى. نعم ؛ أنا إيما فيلدنج».

«سأناديك يا إيما. كنت أنادى كل مربياتى بأسمائهن الأولى».

أوضحت لها لهجة الطفلة أنها تستثيرها لتعارضها ؛ وإكتفت إيما بإيماءة موافقة وهزت رأسها.

ردت إيما «هذا لطيف جداً، وأظن أن إستخدام الأسماء الأولى أكثر ودية، وأتمنى أن نصبح أصدقاء».

وهى تهز رأسها تدللاً أضافت ساندى «لقد أعطانى بابا

خطابك لأقراه» وواصلت حديثها كأنها تريد اظهار عدم وجود أسرار بينها وبين والدها «لقد قال لى لو لم أعجب بك، سيعيدك حيثما جئت».

ردت إيما متجاهلة تلميحها الأخير «يا لذكائك وقدرتك على قراءة خطابات الكبار ؛ معظم الأطفال فى مثل عمرك لا يقرأن سوى الحرف المطبوع».

«أنا أفضل قارئة فى العالم».

«يسعدنى سماع ذلك، هل ستظهرين لى ذلك ؟»

«أنا لا آخذ أى دروس بعد الساعة الرابعة ؛ ولذا لن تستطيعى الإستحواذ على حتى صباح الغد».

«أنا لا أستحوذ على أحد فى أى وقت يا ساندى».

«كل المربيات يحبين السيطرة».

«ستكتشفين سريعا أننى لست كذلك».

أوقفت إيما تفريغ محتويات حقائبها وهى تتابع نظرات الطفلة لها وهى تضرب بقدمها الصغيرة السجادة، وقالت إيما لنفسها ساندى ليست أكثر من كونها طفلة صغيرة محرومة من الحنان.

قالت لها إيما وهى تضع لفة ملابسها على سريرها «لقد أحضرت لك هذه»

«لماذا ؟ أنت لا تعرفيننى».

«إنها هدية تعارف».

«لم أحضر لك هدية».

«لا يهم، أنظرى إلى هديتى لو أردت».

حملت إيما لفة ملابسها لتضعها فى الدولاب. وخلفها سمعت ساندى تمزق الورق الملفوفة به هديتها، ثم صيحة إعجاب ثم صمت وإلتفتت لترى ساندى تحملق وفمها مفتوح فى

ماكينة الخياطة الصغيرة فى حجم لعبة .

قالت ساندى «هل هى لعبة ؟»

«نوع من اللعبة .. لكنها تعمل أيضاً ، سأوضح لك ذلك فيما بعد» .

«ماذا يمكنها خياطته ؟»

«أشياء كثيرة ، فساتين لعرائسك و...»

«أنا لا ألعب بالعرائس ؛ وأحب السيارات والقوارب» .

«أفهم ذلك» .

فعلاً فهمت إيما ؛ فالمرء لا يحتاج أن يكون أخصائياً سيكولوجياً حتى يفهم مبررات إختيارات ساندى ؛ فهى تحب أى شىء يشعرها بالإقتراب من أبيها .

قالت إيما «هناك أشياء أخرى كثيرة يمكنها عملها ، مثل مفارش المائدة ، ملابس نوم لك ، بيجاما لوالدك» .

«بابا لا يلبس بيجامات ، ويقول...»

«أو حقيبة تواليت ؛ لقد أحضرت معى بعض القماش معى وسأقطعه غداً لنبدء خياطته» .

«بل إبدأى الآن» .

«أنا مرهقة جداً ، لقد قطعت رحلة طويلة وسآخذ حماما وأستريح» .

وضعت إيما بعض الكتب على المائدة بجوار السرير .

سألتها الطفلة «هل تعيشين فى لندن ؟»

«نعم فى قرية خارج لندن» .

«مع ماما وبابا ؟» .

«لا . فهما متوفيان» .

«أنا معى فقط بابا ؛ وهو يأخذنى معه أينما ذهب حول

العالم» .

تشككت إيما فى كلامها وقالت «لا أظن أننى أرتاح للسفر كثيراً ؛ فهو لا يتيح لى فرصة تكوين صداقات» .

«لا أريد أى صداقات ؛ يكفينى بابا وهو لا يكون سعيداً عندما لا أكون معه» .

قررت إيما أن تسأل بيل إن كان بريت آدامز يفعل ذلك أم لا ، وهل يصطحب ساندى معه فى كل رحلاته . ذلك الذى لا يجد وقت فراغ لمجرد أن يقدم المربية الجديدة لإبنته لا يبدو أنه من النوع الذى يصطحبها معه فى كل رحلاته . ويبدو أن الطفلة تحيا فى عالم خيالى ، تصدق ما تريد تصديقه .

سألتها لتغير موضوع الحديث «متى ستتناولين عشاءك ؟» .

«وقتما أريد . وهو ليس عشاءاً ، بل مجرد غذاء» .

«أعتقد يجب أن تكون وجبتك الرئيسية هى الغذاء فى الظهر ، ثم تتناولين شيئاً خفيفاً فى المساء» .

هزت ساندى رأسها «دائماً أتناول طعاماً فى نفس أوقات طعام والدى» .

سألتها إيما «معا ؟» وهى متلهفة لمعرفة لأى مدى سيتطاول خيال وإدعاء الطفلة .

«نعم ، بإستثناء الوقت الذى يكون مشغولاً فيه ، أتناول طعامى بنفسى» .

لمحت إيما نبرة الأسى فى صوت ساندى وتأثرت دون الإفصاح عنه وقالت «مازلت أؤمن أن الأفضل لك تناول وجبتك الرئيسية وقت الغذاء» قالتها وأسرعت ناحية الحمام .

كانت قد إنتهت من خلع ملابسها عندما ظهرت ساندى عند باب الحمام ؛ فقال لها :

«إنتظرى فى غرفة النوم يا ساندى من فضلك».

«لماذا؟ إعتدت مشاهدة المربيتين السابقتين، وكانتا ترتديان البكينى طيلة اليوم وكنا نقوم بكل الدروس فى الحديقة والإستلقاء لأخذ حمام شمس فى نفس الوقت».

قالت إيما فى سرها، طبعاً كن يفعلن ذلك من أجل بريت آدامز، ولا عجب أنه يحتقر النساء اللاتى يعملن معه!!.

وقالت بصوت عال «حسنا؛ أنا مختلفة عنهن، وأفضل خلع ملابسى وحدى، ولا أظن أن بإمكانك التركيز فى دروسك وأنت جالسة بالبكينى تحت الشمس».

ردت ساندى «أنت ثقيلة الظل ولا تحبين المتعة».

«أخشى أننى كذلك» وأمسكت الطفلة من يدها ودفعتها بلطف خارج الباب.

غمغمت ساندى «أنا لا أريد أن أشاهدك عارية، عموما، أنت عجوز وقبيحة ولست مثل الأخريات!!».

أغلقت إيما الباب، وهى تقول لنفسها ستثير ساندى المتاعب بلا شك. فهى معجبة بإسلوبها وإن لم تنفذه ستعاند، ولكن ذلك لن يفيدها، وقالت إيما فى سرها لو لم أستطيع التعامل مع طفلة عمرها سبعة أعوام سأعتزل التدريس نهائياً!!.

ألقت بنفسها فى الماء الدافىء، وبدأت تشعر ببطء بالإسترخاء وقالت يجب أن أكون حازمة ولطيفة مع الطفلة. فمن الواضح أنها ناقمة على تباعد أبيها عنها، وإهتمام مربياتها به وعدم إهتمامهن بها قد أضاف إليها المزيد من الشعور بالعزلة والرفض.

جففت نفسها وارتدت الروب، وعادة إلى غرفة نومها. وجدت ساندى قد إنصرفت، واستلقت هى على السرير وهى

تشاهد ضوء الشمس فى سقف الغرفة وتستمع إلى حفيف الأشجار فى الخارج. وهى تقول لنفسها «أظنك قد أقحمتنى فى شىء لم أتوقعه يا دكتور والبول، فلا يمكن مقارنة فصل كامل بهذه الطفلة ذات الأعوام السبعة المتوحشة!!».

ألقت برأسها فوق الوسادة وغرقت فى النوم.

إستيقظت إيما من نومها العميق على صوت طرقات الباب فقالت «أدخل» وهى تتثاءب وتفرك عيونها.

دخلت فتاة سمراء البشرة ترتدى فستان أزرق ومريلة بيضاء وبيدها فنجان قهوة وطبق كعك، صاحت إيما «يا للروعة!!».

ردت الفتاة بلغتها البرتغالية.

ردت الفتاة بانجليزية ركيكة «لا يهم السيد جيبون يظنك جوعانة لذا أحضرت لك الطعام».

«هذا لطف رائع منك، أخشى أننى لا أعرف بإسمك».

«ماريا».

«هل تعملين هنا منذ زمن يا ماريا؟».

«كواترو!! أربعة أعوام».

«إذن تعرف أم ساندى؟».

«نعم» وتلاشت ابتسامتها وأحنت رأسها وإنصرفت.

على الفور إشتعل فضول إيما، وتساءلت فى أى ظروف ماتت المرأة وهل كان زواجها سعيداً. وندمت أنها لم تسأل الدكتور والبول.

وقررت إيما أن الأهم هو معرفة علاقة ساندى بأبيها. فقدانها أمها فى مثل عمرها أمر مأساوى دائماً، ويفسر فقرها العاطفى وإعتمادها على أبيها، وهذا أمر غير صحى؛ وفى هذه الظروف الخاصة يكون كارثة مدمرة. ربما يكون بريت آدامز مغرم بإبنته

لكن إيما مقتنعة بأن مشاعره نحوها لا توفر لها إشباعاً عاطفياً. ولو تدرك ساندى ذلك.

تنهدت إيما؛ ورغم عدم إهتمامها بحياة مخدومها الخاصة، وربما كانت فرصتها أفضل لمعالجة الموقف لو كانت تعرف المزيد عن خلفياته. لكن يجب عليها إختيار التوقيت المناسب لطرح وتساؤلاتها بعناية ودبلوماسية إن لم ترد أن تجد نفسها عائدة فى طريقها إلى إنجلترا !!.

فى تمام الساعة السادسة، غيرت ملابسها وارتدت فستاناً أبيضاً يظهر عيونها البنية الغامقة وإتجهت إلى المطبخ، وجدت طاقم المطبخ مكوناً من خمس أشخاص، وقدمت نفسها لهم، وتعرفت على آنا الطاهية، ذات الابتسامة العريضة، ومساعدتها لويزا ثم الخادمات الثلاث ماريا وبنات عمها. جميعهن ترتدين ملابس قطنية زرقاء، ورحبوا بها بود، وضحكات تعالى إلى قهقهات عندما قالت لهن أنها ستبقى حتى يحين موعد دخول ساندى المدرسة الداخلية.

قالت آنا «معظمهن قلن نفس الكلام، لكنهن رحلن بسرعة» ز

تجاهلت تعليقاتهن وسألتها إن كان بمقدور ساندى تناول وجبتها الرئيسية فى الغذاء، أومأت الطاهية وإنحنت لترفع طاجن ضخم من الفرن.

وهى تضع الطاجن الثقيل فوق السطح إنبعثت رائحة لحم شهى وعبقت الهواء، وشمتها إيما بتلذذ «إم هم ما هذا ؟»

«فيجوادا».

رفعت آنا الغطاء ونظرت إيما داخله ورأت لوبيا سوداء وقطع لحم والصلصلة.

سألتها «هل هذا لعشاءنا الليلة ؟»

«لا؛ هل قطع لحم الضأن لا تكفيك؛ أما هذه للسيد آدامز والرجال. وأنا أجهز أرز بشرائح البرتقال».

بدا العشاء شهيا ولذيذا، وقالت إيما لنفسها يمكننى تناول شرائح الضأن فى وطنى وقتما أريد؛ لكن هل يمكننى تناول الأطباق البرازيلية كلما أمكن، وغادرت المطبخ، وتجولت عبر غرف إستقبال المنزل، وجدتها جميعا مؤثثة بأثاث برازيلى، ومزينة بالزهور فى النوافذ والمقاعد، وأوانى زهور الأوركيد على الموائد.

وعلى فخامة المنزل إلا أنه يتسم بأجواء الفندق أكثر من جوه المنزلى؛ ربما لعدم وجود أغراض شخصية. ولمحت رزمة مجلات سيارات على مائدة القهوة فى غرفة المعيشة الرئيسية، وعجلة أطفال تستند على الجدار خلف باب غرفة المائدة. لكن ليس هناك أى صور أو تذكارات شخصية، وتكون لديها إنطباع أن بريت آدامز لا يستقر هنا بل المنزل مجرد محطة عابرة له.

مازال هذا إسلوب حياته، سواء اليوم أو غداً؛ وفكرت وهى ترتجف؛ متذكرة مهنته المحفوفة بالمخاطر. ألم يفكر أبداً فيما سيحدث لإبنته لو قُتل ؟ ربما هذا هو السبب لإدخالها مدرسة داخلية، حتى لا ترتبط به. ولا يهم أية صداقات ستكونها ساندى؛ لن يحل أحداً محل أبيها.

حذرت إيما نفسها، راقبى الأمر بحذر، ولا تقفز لنهايات دون دليل كاف. بريت آدامز ناجح جداً ولا يتوقع أحد منه تكريس وقته لطفلة عمرها سبعة أعوام. حتى أنه لا يجد مجرد خمسة دقائق لتقديم مربيتها لها.

غمغمت إيما «عموما لن يدوم بقائى». وخرجت من

الباب الرئيسى، لتجد حديقة جميلة وهدأت أعصابها، عندما رأت الحشائش الخضراء، المفهافة لم ترى مثلها فى إنجلترا وأشجار النخيل وزهور غاية فى الجمال رائحتها نفاذة تلأ الجو تحت أنغام تغريد الطيور.

سمعت صوتا رقيقا «كم تبدين جميلة رقيقة وسط الزهور» إلتفتت لترى بيل يسألها «هل أخذت قسطا من الراحة ؟»

«نعم ؛ وشكراً لك».

«كيف وجدت ساندى ؟»

«صعبة لكن محتملة. كانت تريد البقاء معى وأنا أستحم».

«لا يمكننى لومها !! لو كنت مكانها لفعلت»

تورد وجهها خجلاً «أنا أترفع عن ذلك !!»

«بالتأكيد !!» وخطا بجوارها وهى تواصل سيرها أضاف لها «أتمنى أن تكونين قد ارتحت لساندى فهى طفلة جيدة، فعلا ؛ أنا مغرم بها جداً».

«وهل أبوها مغرم بها ؟»

بدا أنه فوجىء وأجاب «طبعا».

ألحت إيما «هل يراها كثيراً ؛ أنا لست فضولية ولا أتطفل يا بيل، وهناك مبرر لسؤالى».

أجابها «بريت رجل مشغول، فالسباق يجعله يسافر حول العالم، حتى عندما لا يكون مسافراً ؛ يظل مشغولاً بأمور عديدة».

«مثل ؟»

«تجريب محركات ؛ العمل فى تصميمات أفضل، تطوير نماذج ؛ بالإضافة إلى الحفاظ على مستوى أداء عال للمساعدة

فى ترويج مبيعات سيارات آدامز. فهى وظيفة تسرق وقته كله، صدقينى، فهى لا تدع له وقتا كافيا ليصبح رجل أسرة».

«معظم الرجال لهم وظائف مرهقة لكنهم ينظمون وقتهم لإيجاد وقت لعائلاتهم، والأطفال ليسوا لعبة على الرف تنزلها وقتما يواتيك مزاجك لتلعب بها. إن كان هذا ما يؤمن به ؛ كان يجب ألا ينجب طفلة أصلاً».

إحتج بيل «هذا نقد قاسى لا يلائمه عموماً ؛ لم يكن بريت مشهوراً عندما أنجب ساندى، وظل هكذا حتى توفيت زوجته وبدأ ينطلق نحو عالم الشهرة فى السباقات».

تعجبت إيما أهى رغبة فى الموت ؟ لكن الأفضل ألا تسأل ؛ فلقد قالت كل ما تريده إلى بيل.

سارا حتى أصبح فوق مرتفع ظليل يطل على منخفض أخضر يمتد ربع ميل ثم يقود إلى شاطىء البحر.

غمغمت «كم هو جميل، يمكن أن تحتفظ يقارب هناك».

«فعلاً ؛ لدينا عدة قوارب هناك، خلف تلك الأشجار. بريت لديه قارب بموتور لو كان يعجبك التزحلق على المياه»

«أظنه أفضل رياضة» وهى تتعجب إن كانت ستجد وقتاً لممارسة هوايتها.

وافقها بيل «فعلا».

ضحكت إيما «أين سباقات السيارات إذن ؟»

«لا يجد فرصة لهوايته فى التزحلق على الماء»

«كل شىء عدا السباقات بالنسبة له مجرد شىء عابر !!»

«يجب ألا نناقش هذا طيلة الوقت».

أومأت إيما والتفتت ناحية المنزل «ماذا كنت تعمل قبل

أن تنضم للعمل مع السيد آدامز؟»

«كنت فى الجيش النظامي، سلاح المظلات. وسقطت سقطة سيئة وسمحوا لى بالتقاعد سمع بريت عن ذلك ــ كنا زملاء مدرسة ــ ودعانى للعمل معه. وأعجبنى كثيراً. ولم أندم أبداً».

«ليست وظيفة آمنة رغم ذلك؟»

«لماذا يقولون ذلك؟»

«حسناً... سائقى السباقات يعيشون فى مخاطرة!!».

«هذا شىء لم نفكر فيه أبداً، ستكون كارثة مدمرة لمعنوياتنا لو فكرنا هكذا بريت حساس جداً، ويجب ألا يفكر أحد من العاملين معه فى الموت».

«إذن يجب أن تسيطروا جيداً على أعصابكم».

«فعلا. بريت له إسلوب قيادة يستحق الإحترام؛ وكل شىء يرتب تبعاً لحاجته».

لم تصبر على سؤالها «وماذا عن حاجات ساندى؟ أم لا قيمة لها؟»

«طبعا لها أهمية، لكنها طفلة»

«فى كتب الأطفال التى درستها حاجاتها لها الأولوية!! لماذا تنجبون الأطفال طالما تتجاهلوهم كما يفعل السيد آدامز؟»

«لو كنت على حق فى كلامك كان يجب ألا تكونين هنا، جئت هنا لأنه مهتم بساندى ولذا يحاول إحضار الشخص المناسب لرعايتها».

«هو الشخص المناسب».

«آه؛ إستمرى، كم عدد الرجال الذين تعتقدين أنهم يهتمون بأطفالهم؟»

«لا أعنى ذلك حرفيا، ما أقصده، أنه مهما كانت المربية جيدة فهى لا تستطيع تعويض حنان الأبوين. وساندى بحاجة لحب أبيها..»

«وهى تلقى حبه وحنانه»

«هى لا تظن ذلك. ربما النقيض تماما، فى الواقع. لو...» توقفت وهزت رأسها «أنظر؛ آسفة. يجب أن أقول كل ذلك للسيد آدامز. أنه خطأ منى أن أنتقده فى غيابه»

«لكن هذا أمان لك، فهو لا يستريح للنقد ــ خصوصا من القادمين الجدد، نصيحتى لك الإنتظار لفترة. ربما تغيرين رأيك».

صممت وهزت رأسها.

«لك وجه معبر يا إيما، لكننى سأسامحك!! فى الحقيقة أنا سعيد باهتمامك بساندى لكن لا مبرر لإنزعاجك».

«أتمنى ذلك»

عند الباب الرئيسى عندما أوشكت على الدخول أوقفها «مازحاً عن تغيير رأيك وتتناولين العشاء معى؟»

«ليس الليلة؛ يجب أن أتناوله مع ساندى!!»

«لو لم توافق، أخبرينى، لقد مللت طعام المنزل!!».

ابتسمت له ودخلت. فهى الآن تشعر وكأنها فى منزلها، ولقد ساعدها بيل بحديثه، رغم إختلافه مع نقدها. لكنها شعرت به كصديق؛ وهى بحاجة له لو أرادت إقتحام عرين الأسد، لو؟؟ تنهدت إيما. ليست هناك أى فرصة لـ.. لو.. بل السؤال عن متى؟؟

فى تمام السابعة والنصف دخلت إيما غرفة اللعب؛ وكما توقعت لم تجد ساندى، وقطعت الغرفة فى عصبية؛ وهى تعرف

أن هذه أول معركة إرادة بينهما، وتساءلت هل أبحث عن الطفلة أم أتجاهل غيابها تماماً؟ وانتظرت دقائق وهى تتطلع من النافذة على الحديقة، وهى مأخوذة من جمالها؛ ومن سرعة إيقاع حياتها؛ بالأمس فقط استيقظت فى كوخ فى قرية صغيرة خارج لندن، مختلفة كثيراً عما شاهدته اليوم مع بيل، هذه القرية بمنازلها ذات الشرفات والحدائق، وكنيستها البيضاء المحاطة بالنخيل؛ وشارعها الرئيسى حيث تتجاوز الحمير مع الدراجات.

سمعت صوتاً رفيعا خلفها وصوت الباب كانت واثقة أنها ساندى وهى تقول لها «بابا يريدنى دائماً أن أكون لطيفة مع الضيوف لذا سأتناول عشائى معك الليلة»

«هذا لطف كبير منك، يسعدنى أننى لن أتناول طعامى وحدى، دائماً أحب التحدث مع شخص».

«مارلين، مربيتى السابقة كانت تقول أنها تتضايق من الأطفال».

«أنا لا أتضايق منهم، ولهذا استمتع برعايتهم».

«هذا ما كانت تقوله ديانا كانت هنا قبل مارلين ــ لكنها لم تكن جادة فى كلامها فقط كانت تريد زواج أبى، وعندما لم يهتم بها رحلت».

أمسكت ساندى بذراعها وسألتها قبل أن ترد «هل تريدين مشاهدة غرفة نومى؟»

«أحب ذلك» وهى سعيدة بسلوك ساندى الودى.

تركتها تفرجها على الغرفة، وجدتها غرفة تحلم بها أى طفلة، الجدران بيضاء بها رسومات يدوية وزهور؛ وتسريحة، ومائدة، ودولاب ملابس، قالت ساندى «والدى يدللنى، يشترى لى

كل ما أريده».

«أنت طفلة محظوظة»

«هل والدك يدللك؟»

«لا أذكر أبى، مات وعمرى سنتان»

حدقت فيها ساندى لحظة «أمى ماتت وعمرى خمسة أعوام، وأتذكرها دائماً، لكن أحب أبى أكثر، هو أرق رجل فى العالم»

قالت إيما فى سرها الطفلة تضع أباها مثالاً لها؛ وعادت لتهرب من خاطرها وتقول لها «كم هو جميل هذا، أحب اللون الوردى».

«وأنا أيضا؛ إنه لونى المفضل، دائماً كانت تلبسه أمى، هل تريدين مشاهدة صورتها؟»

دون إنتظار الرد، أسرعت ساندى إلى دولابها وجاءت ببرواز فضى، ورغم أن إيما مازالت تتعجب من عدم وجود الصورة على الجدار أو المائدة، إلا أنها ذهلت بجمال الصورة، سيدة بشرتها صافية شعرها فضى أشقر، ملامحها مثل مادونا عيونها داكنة الزرقة.

«أمك جميلة جداً، ولماذا لا تضعين صورتها على تسريحتك أو بجوار سريرك؟»

«بابا لا يريد ذلك ويقول أن تعليقها يجلب الوساوس؛ هل تظنى أنه على حق؟»

ترددت إيما تخشى أن تجعل الطفلة تشعر بخطأ أبيها ولا تريد أن تكذب عليها.. وقالت «هذا يعتمد على تأثير الصورة وشعورك بها، إن كانت تجعلك سعيد، فلا أرى سببا لعدم تعليقها، لكن لو جعلتك تغرقين فى الحزن فالا فضل عدم

تعليقها كما قال والدك».

جذبت ساندى الفستان من يدها وأعادته إلى الدولاب وقالت «هيا نلعب»

«سنتناول عشاءنا حالاً»

«لا يهمنى، يمكن للعشاء أن ينتظر».

إندفعت ساندى إلى غرفة اللعب وأحضرت اللعبة ووضعتها على مائدة بجوار النافذة وجلست أمامها وقالت بلهجة آمرة «تعالى أنا مستعدة».

«وكذلك أنا، لكن العشاء» وقررت أن المزاح ربما يكسب الطفلة أكثر من سلطة الأمر والنهى وقالت «لو لم آكل فوراً سأسقط وأقع على الأرض».

«لماذا؟»

«لأن سيقانى مجوفة وفارغة ويجب أن أملأها بالطعام!!»

انفجرت ساندى فى الضحك ووقعت على الأرض غير قادرة على إمساك نفسها من الضحك على ما قالته ساندى.

دخلت ماريا وذهلت لهذا المشهد، ووضعت الصينية بأطباقها الفضية على المائدة. وإنبعثت رائحة شهية لذيذة فى أرجاء الغرفة، رائحة لحم الضأن وعلقت ساندى «أظنك قلت أننا لن نتناول عشاء حقيقى الليلة».

«من الغد سنتناول عشاء خفيف، لكن لا أدرى مدى قدرتك على تناول غذاء كامل ظهراً».

«فقط أتناول البطاطس، لقد انتظرتك ولكنك جئت متأخرة».

تأثرت إيما لهذا التلميح، وشعرت بالأسى لهذه الطفلة التى لا يهتم أحداً بطعامها طيلة اليوم.

«بابا يريدنى أن أتناول الغذاء معه، لكننى قلت له أنا مشغولة «وهى تتلهف للإسراع بتناول طعامها.

كانت إيما واثقة أن الطفلة تختلق الأعذار لأبيها، وتوترت لذلك، هذا الرجل اللعين لا يعرف حتى إن كانت ساندى تموت جوعاً طيلة اليوم أم لا!! ولا يبدو أنه يدرك كم هى بائسة محرومة.

تذكرت حوارها مع بيل وأمسكت نفسها، وقالت يجب الإنتظار، لأنها لو تسرعت ربما سيطردها وهذا ليس فى صالح ساندى. يجب أن تتأنى لتقدم له تقرير واقعى بحالة الطفلة العاطفية. حتى تستثير ضميره وتوقظه ليمارس دوره كأب فعلى.

لكن كيف سيكون الحال لو رفض؟ يا له من سؤال لا تجرؤ للإجابة عليه!!

الفصل الثالث

الخيط الرفيع

فى الصباح الباكر بدأ أول دروس ساندى مع مربيتها إيما. وكانت لماحة جداً، وبعد صراع الإرادات بينهما والتى إستمرت رحى معركتها يومين أصبحت ساندى تلميذة مطيعة وملتزمة بقدر إهتمامها وتركيزها. مما أدهش إيما.

ولقد تعلمت إيما كيفية التعامل مع ساندى؛ وأدركت كيف تهدهدها وتروضها بدلا من إعطائها أوامر، ودائما تبدأ يومها الدراسى بأثقل الموضوعات وأقلها حباً فى نفس ساندى ـ الحساب ـ وتنهيه بالموضوع المحبب جداً لها، الإنجليزى. وأظهرت الطفلة تفوقا ملحوظاً فى التعبير، وتركت لخيالها العنان وكأنها تعيش فى الواقع الفعلى !!

ذات صباح سألتها ساندى «إلى متى يدوم بقائك هنا معى ؟» وكانت تجاهد فى حل مسائل الجمع التى تكرهها.

«حتى تذهبين إلى المدرسة الداخلية».

«أنا محظوظة بدخولى المدرسة الداخلية، أليس كذلك ؟»

توقفت إيما ثم قالت «هل أنت متلهفة على دخول

لمدرسة ؟».

إرتسم وجه ساندى بملامح حزن «طبعا، بابا يريدنى أن أدخلها».

«أعرف؛ لكن ما هو شعورك ؟».

«أريد أن أفعل مايريده أبى؛ حتى يحبنى»

«أنا واثقة أنه يحبك».

«سيحبنى أكثر عندما أفعل ما يطلبه منى».

جلست إيما وتنهدت، ورأت فى كلام الطفلة علامة أخرى على عدم شعورها بالأمان. وتمنت لو أطبقت فى خناق بريت آدامز وأنشبت أظافرها فى عنقه حتى يفيق لنفسه !!

ألا يفهم أن الملابس واللعب ليست بديلا لوجوده وعاطفته لساندى ؟.

هذا سؤال لم يعد يطيق الصبر وتركه بلا إجابة، وقررت مفاتحته عندما تقابله. لقد حثها بيل على الإنتظار حتى تتعرف عليه أولاً، وربما تغير رأيها. لكنها فرصة لا أمل فيها !! فهى لن تغير رأيها بعد إسبوع قضته هنا، لم تجده قضى مجرد ساعة واحدة مع إبنته طيلة سبعة أيام.

صاحت ساندى «أنهيت حل مسائل الجمع، أتريدين مراجعته ؟».

نظرت إيما إلى الصفحتين المكتوبين بخط ردىء. والأخطاء المهملة، وجدت أربع مسائل فقط صحيحة من مجموع عشرة، وبلطف شرحت لها سبب خطأها. فهى تعلم أن النقد لمثل هذه الطفلة الباثسة يجب أن يكون رقيقا.

وقالت لها «الجمع ليس موضوعك المفضل !!»

«لا، أحب القراءة والكتابة»

«نحن لا نستطيع دائماً القيام بما نحب فقط»

«بابا يفعل ذلك؛ يحب السباق ولا يقوم بشىء غيره».

أغلقت إيما كراسة الواجب لتنهى المناقشة ووقفت «أظن أنجزنا دروس كافية هذا الصباح، ما رأيك فى سباحة قبل الغذاء؟ وفى المساء تقومين بالخياطة؟»

صاحت ساندى فرحاً، فلقد استوعبت العمل على ماكينة الخياطة الصغيرة بسرعة مدهشة، وقالت لها «سأخيط لك فستانا».

تأثرت إيما «هذا جميل منك ياعزيزتى، لكننى لا أعتقد بضرورة هذا الطموح، فضلاً عن عدم وجود قماش يكفى.

«يمكننا شراءه من إيجبرا».

تضايقت إيما. فهى لا تقود السيارا حتى لوتوفرت سيارة، وهى واثقة أن بريت آدامز لن يرضيه أخذ ساندى بالاتوبيس، الأمر الذى يصبح مادة شيقة للشائعات والأقاويل هنا.

سألتها «كيف تذهبين عادة إلى ايجبرا؟»

«بابا يأخذنى معه؛ ولو كان مشغولاً يطلب من بيل أخذى معه».

وفكرت إيما ساخرة، وهذا هو الغالب فهى لا تتخيل بريت آدامز يتجول فى المحلات بصحبة طفلته.

قالت إيما لساندى «أظننا سنرتب الأمر مؤقتاً، لقد تذكرت، معى قماش قطنى أحمر أحضرته معى إنجلترا يمكنك إستخدامه لصنع مريلة لماريا».

لم يكن ممكنا أن تصبح فترة ما بعد الظهيرة أفضل من ذلك؛ فلقد قطعت ساندى القماش وخيطته بسعادة، وعندما جاءت

ماريا تحمل العشاء سلمتها وهى تتباهى بنجاحها المريلة وصاحت الخادمة وهى تشكرها «أنت فتاة ذكية!!».

ردت ساندى «أريها لوالدى عندما تقابليه»

أومأت ماريا وإنصرفت، وتناولت ساندى طعامها بجوع واضح، وبعدئذ لأنها مرهقة لم تتذرع بحجتها المعتادة لعدم الذهاب إلى سريرها مبكراً. وعندما أوصلتها إلى الباب قالت الطفلة «ألن تقولى لى ليلة سعيدة، يا إيما؟»

«ألا أفعل ذلك دائما؟ ليلة سعيدة يا حبيبتى».

«أقصد مجيئك لغرفتى».

أخفت إيما سعادتها الداخلية؛ وأومأت؛ فهى المرة الأولى التى تظهر فيها ساندى هذه المشاعر الودية الدافئة نحوها. الطفلة البائسة، حياتها جافة خالية من الواد العطف والحنان.

عندما وصلت غرفة ساندى كانت غارقة فى خواطرها، واستقلت ساندى فى سريرها، وشعرها منسدل، ولا يبدو عليها أنها طفلة فى السابعة من عمرها، بقميص نومها الوردى، وشردت إيما تتخيلها فى العاشرة فلقد لمحت: عيونها البراقة اللامعة، الذكية الرقيقة ولكنها عادت لتقول لنفسها لم لا؛ لقد ورثت جمال أمها الرائع وجاذبية أبيها التى تنطق أبى الهول الصامتد منذ آلاف السنين!!

جلست إيما بجوارها على السرير «يا له من قميص نوم لطيف».

«ذهب بابا خصيصاً إلى ريودى جانيرو لشرائه لى، فهو يختار لى كل ملابسى»

تلعثمت إيما؛ فلقد أخبرتها ماريا بالأمس فقط أن كل ملابس ساندى تجىء من محل فى إيمبرا، وصاحب المحل ينتقيها

بنفسه ويسلمها لهم فى المنزل.

«أحياناً ساساندى لا يكون الأمر هكذا»

وقالت وهى تحتضنها «أتريدين أن أقرأ لك قصة؟».

على الفور بدأت قراءة قصة آليس فى بلاد العجائب حتى نامت ساندى، وأغلقت الكتاب وهى تحدق فى الوجه البرىء؛ خفق قلبها بالحنان واللوعة عليها، وقررت أن تحادث بريت آدامز هذا المساء.

سألت ماريا «هل السيد آدامز هنا؟»

«لقد أنهى طعامه حالاً».

قررت أيما مقابلته فوراً؛ فهى لم تعد تطيق الإنتظار؛ وغيرت ملابسها، وبعد ربع ساعة هبطت السلم، وسمعت ضحكات عالية قادمة من الفرانده، وخمنت أن مخدومها بريت آدامز يشرب مع فريقه: مهندس وأربع ميكانيكين وعاملين برازيلين وهى تعرفهم جميعاً ورأتهم على بعد لأنهم يتناولون طعامهم فى المنزل، رغم أنهم يقيمون فى إستراحة ضيوف على الجانب البعيد من حمام السباحة.

طرقت الباب، ولم يسمع أحدهم وتعالت الضحكات؛ لذا أدارت مقبض الباب ودخلت، توقفت الضحكات وأطبق الصمت وحدقت فيها عيون الحاضرين؛ وقفت حيثما هى، وهى تشعر برجفة داخلية وأخفقت حيثما هى، وهى تشعر برجفة داخلية وأخفت مشاعرها، ولم تلمح وجود بريت آدامز بينهم وقالت معتذرة «آسفة على إقتحامى؛ كنت أبحث عن...».

قاطعها بيل «لا تتأسفى» وقف وتقدم نحوها «الجميع هنا متلهفون على مقابلتك منذ وصولك».

وجذبها ناحيتهم ليقوم بعملية التعارف كل جميع أفراد

الفريق بريطانيين، بإستثناء اثنين برازيلين، وجميعهم فى نهاية العشرينات ومنتصف الثلاثينات، قدم لها الجميع كؤوس الشراب محاولين جذب إنتباهها لكنها إعتذرت وتقبلت فنجاة القهوة.

داعبها مارتين دولومور المهندس «مؤكد لك مخبىء خاص، لقد بحثت عنك كل مساء ولم أجدك».

رد أحدهم «ربما لم تستخدم عطراً مميزاً بعد الحلاقة!!».

إبتسمت إيما «عادة أنام مبكراً، لأن ساندى تستيقظ مع أول ضوء للنهار».

أكد لها مارتين «النوم المبكر سيضرك، يصيب الكبد بالكسل!! أنت بحاجة لتدريب ويمكننى شخصيا حجز مائدة لنا فى ملهى إيبرا، هل نبدأ من الليلة؟».

ابتسمت إيما «ربما أصاب بنزلة برد بسبب المطر».

«هل تعدينى بالموافقة على الخروج ليلة أخرى؟»

علق بيل «ستكون مجنون لو وافقت!!»

وتعالت الضحكات، وشاركتهم إيما وتوقفت الضحكة فى حلقها عندما لمحت بريت آدامز يدخل من باب الفرانده وبادرهم متسائلا: «لم تضحكون يا أولاد؟ هل أنتم..» ولمحها وتلاشى المزاح والمرح «مساء الخير يا آنسة فيلدنج» قالها ببرود «أين ساندى؟»

«نائمة، الساعة الآن التاسعة مساءاً».

إتجه إلى مائدة الشراب وصب لنفسه كأس ويسكى وصعودا «ولذا شعرت بالحاجة للتسلية؟» والتفت ورمقها بنظرة باردة.

رد مارتين «من الصعب عليها أن تتسلى لقد أجبرناها على

عدم الهروب».

«حقاً؟»

كانت سخريته واضحة، واعترتها حمرة الخجل وهى تتساءل فى سرها يظننى جئت هنا بحثاً عن رجل؟.

وردت «كنت أبحث عنك يا مستر آدامز، أريد أن أتحدث معك».

علق ميكانيكى شاب له ضفيرتى شعر ملونتان «هذا تأثير سحرك يا بريت».

تجاهله بريت آدامز وأومأ لإيما لتتبعه وإتجه إلى مكتبه فى نهاية الصالة، وجلس خلف مكتبه، وقال «حسناً، يا آنسة فليدنج؟»

تلاشت شجاعة إيما وتساءلت ماذا فى هذا الرجل يجعلها تهيبه وتخافه؟:

«أنا.. أنا أريد التحدث معك بشأن ساندى. أعتقد من الضرورى أن تعرف كيف تسير أمورها».

«فقط لو واجهتك متاعب معها. فيما عدا ذلك أنا قانع بتركها لك».

«هذا واضح!!».

إندفعت الكلمات من فمها دون ترتيب، ورمقها بنظرة حادة «ماذا يعنى هذا بالضبط يا آنسة فيلدنج؟ ليس لدى متسع من الوقت للألغاز».

«ولا أنا. أنا جادة جداً»

«حول ماذا؟»

«ساندى. هى بالغة التعاسة»

«ولهذا إستقدمت لرعايتها وجعلها سعيدة»

«أنا مربيتها؛ ولست أبوها البديل!!»

كانت عبارتها القشة التى قصمت ظهر البعير، تصلب وجهه وقال «ألتمس عفوك؟»

«ليس عفوى أنا بل يجب أن تلتمس عفو إبنتك يا سيد آدامز!! لو كنت أبا فعليا وليس مجرد بطل آلى على مضمار سباق السيارات؛ لكانت..».

«كيف تجرؤين على التحدث معى هكذا؟» قاطعها غاضباً وعيونه تلمع بشرر إنفعال.

صاحت إيما «أجرؤ من أجل ساندى، فهى بائسة جداً أخشى على سلامة عقلها».

تحول تعبيره وملامحه من الغضب إلى الذهول «سلامتها الذهنية؟ هل تحولينه إلى موقف درامى؟».

«لا، بل أقول الحقيقة».

«حسنا؛ لقد جذبت إنتباهى يا آنسة فيلدنج؛ وطالما هذا واضح ماذا تنوين...»

لم تكفى كلماته وقالت حواجبه المرفوعة المزيد، وتمنت إيما لو صفعته على وجهه. هذا الحلوف المغرور!!

وقالت بلهجة باردة لاذعة «أتظن أن هذا هو سبب حديثى؟ أنا لا أدرى من أين كنت تجلب كل المربيات السابقات اللاتى عملن معك، هل من أغلقه المجلات الفاضحة المبتذلة، لكننى أؤكد لك أن آخر شىء أتمناه هو لفت إنتباهك. وأفضل أن أغطى وجهى بحجاب على النظر إليك!! والآن لننحى هذا جانباً؛ لنعود إلى شأن إبنتك. فهى مقتنعة أنك لا تحبها وهذا يؤثر فى سلوكها. ولو كنت تقضى وقتاً أطول معها لأدركت ذلك بنفسك».

إشتعل وجهه بالغضب، وأدركت إيما أنها تجاوزت حدودها. وقالت لنفسها هو محق فى قوله أننى أصور الموقف بشكل درامى؛ لكنها الوسيلة الوحيدة لإجباره على الإنصات لها. لكنها لم تكن تنوى إغضابه وإشارته لهذا الحد الفظيع!! لكنه المسئول فليس من حقه مقارنتها بالمربيات السابقات!! وقالت بلطف «آسفة على كلماتى القاسية لكنك آثرتنى».

«ماذا تظنين أنك فعلت بى بوصفك إبنتى أنها معتلة العقل؟»

«لم أفعل شيئاً!! ولم أقل ذلك، قلت أننى أخشى وأخاف على سلامة عقلها. فالخيط بين الخيال والواقع رفيع جداً يا سيد آدامز، وعندما يعانى الطفل من بؤس الواقع يلجأون فى العادة إلى عالم من صنع خيالهم».

«ما الضرر فى ذلك؟»

رفعت رأسها، وارتشف هو كأسه وأضاف «عندما كنت صغيراً، كنت دائما أتخيل الأشياء أحياناً كنت أتخيل نفسى شخصية أسطورية وأعيشها لأسابيع».

ردت إيما «إن لم تحصل ساندى على ما تحتاجه من حب، ستصبح معوقة عاطفياً فى حياتها!!».

فى ثورة غضب وضع كأسه ووقف؛ وإتجه ناحية الشباك ونظر خارجه وهو يضع يده خلف عنقه كما لو كان يحاول إزالة توتره؛ مما أدهش إيما لأنها كانت تعتبره رجل بارد الأعصاب.

قال بصوت هادىء «أقدر أنك مربية كفئة مدربة ومعلمة فى مدرسة لكن هذا لا يؤهلك لتقييم حالة الطفلة الذهنية».

«لو سمعتنى جيداً، لوافقت على تقييمى».

إستند على الجدار وواجهها ويداه ملفوفتان فوق صدره «

حسناً جداً، سأستمع إليك الآن».

تحيرت تتحدث بعقلها أم بعاطفتها؟ لكنها قالت على أى حال «من لحظة وصولى هنا، وساندى تحكى لى مدى قربك منها ــ رغم أننى أرى بنفسى أنك لست كذلك!! وتقول أيضاً أنها تسافر معك حول العالم وتشاهد كل سباقاتك».

«هذا كله إختلاق!! أخذتها معى مرتين فقط؛ لكنها لم تشاهد أبداً سباقاتى، أبداً بل لدى فريق العاملين تعليمات صارمة ألا يخبروها متى أكون فى سباق!».

تنهدت إيما «هذا ما أتوقعه، ومع ذلك فهى تصدق كل شىء تقوله لى. وعندما قال لى أنها كانت معى فى سيارتك عندما سجلت رقماً عالمياً جديداً!! وعندما داعبتها بأنها تزعم ذلك، بكت طيلة ساعة كاملة؛ وحتى الآن لا تعترف أنها اختلقت هذه القصة المزعومة. وهناك حوادث كثيرة مماثلة، إن لم تصدقنى إسأل بيل؛ فلقد سمع بعض الأمور وهى تقولها».

فى صمت مال برأسه للوراء، وغطى ضوء مصابيح الثراندا وجهه، وقال بتثاقل «أظن ذلك صعب جداً، ساندى لديها كل ما تتمناه أى طفلة، ملابس، لعب، إناس يهتمون بها..»

قاطعته إيما «كل شىء فيما عدا أبوين يحبونها!!»

«عليك اللعنة!! أمها متوفية، يا آنسة فيلدنج، وكل قوة العالم لن تعيدها!!»

ردت إيما الكرة إليه «لكن أبوها على قيد الحياة ويجب أن يتحمل مسئوليته».

كيف تجرؤين على تقييمى والحكم على وأنت لا تعرفين الوضع؟»

«أعرف ما يكفى لإدراك أن كل ما يهمك هو الفوز السباق

اللعين!! وأنت لست أكثر من مجرد تلميذ مدرسة ناضج جداً كان يجب ينجب طفلة!!».

رمقها بريت آدامز وقة يتحرك بلا صوت مسموع؛ ويداه كأنهما ستطوقان عنقها. وقالت لنفسها سيطردنى من العمل؛ ولذا قررت أن تنسحب ورأسها مرفوعة: وقالت «حان الوقت ليقول أحد لك الحقيقة يا سيد آدامز، ساندى مريضة بحبك، رغم كل ما ذكرته لك؛ ربما كان يجب أن تموت مثل أمها!».

وهو يتقدم نحوها «كيف تجرؤين!!»

وهز رأسه فى غضب ثم طوحها بعيداً عنه بعنف أسقطها على الأرض مثل لعبة صغيرة.

على الفور جذبها ورفعها عن الأرض ويداه مرتعشتان ووجهه شاحب.

«يا ربى!! آسف.. آسف جدا، أنا لم أفقد أعصابى أبداً، لكنك...».

وهو يحملها ليجلسها على مقعد غمغمت «إنها غلطتى أيضا؛ ليس من حقى أن أتحدث هكذا».

«أنت ترعين ساندى وهذا يعطيك كل الحق ومن حقى أيضاً أن تشرحى وضعها».

عاد ليجلس خلف مكتبة وهو يشاهدها، قالت إيما لنفسها لو عندى أدنى إحساس لرحلت وعدت فوراً إلى إنجلترا. لكن ذكرى الطفلة الصغيرة هى التى منعتها.

بدأ كلامه «السبب الوحيد لإبتعادى عن ساندى هو حبى لها ولا أريد أن أوذيها».

«هذا لا معنى له!!»

«بل له معنى لو تفكرت فيه، أنا فى مهمة خطيرة يا آنسة فيلدنج، ولا أريدها أن تعتمد على فى سعادتها».

«يمكنك منع ذلك!! أنت أبوها وهى تحبك وتحتاجك، ألا تعرف أن ابتعادك عنها يجعلك تتعلق بك كما لو كنت ميتا؟».

إسترخى فى مقعده للوراء، وتفحصت إيما ملامح وجهه وقالت «لقد تجاوزت حدودى مرة أخرى يا سيد آدامز وأنا أسفة، لكن ليس هناك أى طفل أو أى إنسان يمكن أن يكون سعيداً بلا حب».

«هذا كلام رومانسى!! لكننى رجل واقعى؛ واعتبر الحب قيد يكبل حرية تحركك!!».

«لكن هذا لم يمنعك من الزواج».

«ما دخلك بهذا؟»

تنهدت إيما ووقفت وهى تدرك إستحالة إستمرار النقاش

«متى تريدنى أن أرحل؟»

«ترحلين إلى أين؟».

«أرحل من هنا بعد كل ما قلته لك..».

«توقفى عن محاولة قراءة أفكارى!! لو أردت طردك والاستغناء عنك، لفعلتها من لحظة مجيئك، لكن كما قلت، أنت تهتمين بساندى وأنتى الشخص النموذجى لرعايتها، والآن لو سمحت أمامى عمل».

رغم سعادتها بعدم طردها، وجدت أن بقائها سيجلب عليها المتاعب.

«ربما الأفضل لو رحلت يا سيد آدامز»

«بالنسبة لى ولك، ربما، لكن ليس بالنسبة لابنتى، ومن الخطأ عليك تركها الآن بعد أن تعلقت بك».

«تعجبنى طريقتك فى التخلص من مسئولياتك وإلقائها على كاهلى !!» .

«يسعدنى سماع ذلك ، إذن هل ستبقين ؟»

«ليس هذا ما أقصده !!» .

«أعرف ، لكن المناقشة إنتهت ، إذن ما قرارك ؟ هل ستبقين ؟» .

قالت بمرارة «سأبقى ، أنا لم أتخلى أبداً عن يتيمة» .

«ساندى ليست ..» لكنه تذكر وعلت علامة الغضب على خدوده «أنتى سليطة اللسان !!» .

وهى عند الباب ردت «أنا مندهشة أنك لاحظت ذلك وشعرت به» وأغلقت الباب خلفها .

أرهقتها المناقشة مع بريت آدامز وأبت أن تعود إلى غرفتها غاضبة وقررت المشى ، كانت ليلة قرية ، ضوء القمر يسطع فوق المياه الفضية والسماء الصافية مزدانة بالنجوم ورائحة النباتات الدخان تعبق نسيم الليل وتغريد الطيور فوق الأشجار يجسد خلفية موسيقية طبيعية تصويرية رائعة ، وتلاشت كل تلك الدراما الكئيبة التى عاشها .

مازالت غير واثقة أنها فعلت شيئاً صحيحاً بموافقتها على البقاء . فهى مغرمة بساندى ، وسيتزايد حبها كلما طالت مدة بقائها ، مما سيؤدى إلى مواجهة جديدة مع والد الطفلة .

يا له من رجل معقد !! وتوقفت بجوار حمام السباحة وهى تحدق فى مياهه . وهى غارقة فى خواطرها سمعت من ينادى .

«إيما» .

إستدارت لتجد بيل القادم من تحت الظلال ، وجهه قلق ، يا لغبائها عندما توقعت أنه مخدومها . فهى ستظل دائماً بالنسبة له

الآنسة فيلدنج .

بادرها بيل «تحيرت أين ذهبتى ، كنت قلقاً عليكى» .

«هل ظننت أننى جئت هنا لأنتحر غرقاً ؟»

«أو تغرقين السيد !!» .

«سأفعلها ـ لو رأيت ذلك يحقق شيئاً !»

«تقصدين أن كل الصباح فى المكتب لم يصل لنتيجة ؟»

«أخشى ذلك»

«لم أره يفقد أعصابه هكذا أبداً ، توقعنا أنكما ستتشاجران !» .

هزت كتفيها ؛ ولم تشأ أن تعترف أنها كانا على وشك ذلك ، فؤخرتها تؤلمها من الوقعة على الأرض .

إعترفت إيما له «لقد قلت له كلاما فظا عنيفا من ساندى» .

«مثل ماذا ؟ أم لاتدرين الحديث ؟»

ترددت ، ولكنها قررت أن تكون صريحة معه ، وشرحت له الحوار ، وإستمع لها صامتا ، وفى النهاية سألها :

«هل تظنين صراحة أن مشاكل ساندى ستحل لو أن بريت آدامز قضى وقتاً أكثر معها ؟» .

«لاشك فى ذلك ؛ لكنه لم يوافقنى ؛ قال ببساطة أنه لن يغير سلوكه رغم كل مبرراتى التى صارحته بها» .

«أتعرفين أن أسبابه قوية ؟»

«أتظن ذلك ، لو قتل ، أليس من الأفضل على الأقل أن يكون لدى ساندى ذكريات سعيدة عن أبيها ؟»

«لاتتحدثين عن إمكانية قتله ، فى هذه اللعبة يجب ..»

قاطعته «السباق ليس لعبة ، بل جنون !! ومن أجل ماذا ،

عموماً ؟ لا يحقق شيئاً».

«بل على العكس، كل ما تتعلمه فى مضمار السباق يؤدى إلى تطوير السيارات وجعلها أكثر أمنا، ألا تسمعين عن الطائرات التجريبية ؟»

«لا يمكن المقارنة بينهما، فهى لا تتم من أجل المال».

«ولا من هم مثل بريت، فهم يقومون بالسباق من أجل التحدى ؛ لأنهم يحبون تجريب مهاراتهم وشجاعتهم».

«لم تقل شيئاً عن الشهرة والنساء!!»

«هذه أشياء لا تحرك دوافع بريت. سيقلع عن السباق غداً له..».

أمسك بيل لسانه، وحاولت إيما هزه وإشارته ؛ فهى لا تعرف ما هى دوافع بريت المغرور.

فجأة قال لها «يسعدنى بقاءك معنا وجودك هنا يجعل شمسى تشرق».

تغير دفة الحديث ولم تستطع إيما أن ترد، واستطرد بيل «يمكن قول المزيد لكننى لا أريد إزعاجك، أخمن أنك تعرفين ما أريده، عموما».

تحيرت أن تتظاهر بالبراءة أم تكون صريحة وقالت فقط «شكراً، وأظن ذلك».

«وماذا بعد ؟»

نظننا لا نعرف بعضنا إلا بالكاد»

«هذا بسيط!! فقط قولى كلمة»

نظرت بعيداً «من المفروض أن تكون لا، أخشى ذلك».

قال بصوت مبحوح «فهمت» وبعد خطوات قال «كان يجب أن أصدق برج حظى اليوم لقد قال: لا تجرب حظك!!»

ضحكت إيما، وإرتاحت لمزاحه «أنا لست ملائمة لك عموماً.. مدرسة جادة تكره سباق السيارات!!»

«أيمكن أن نظل أصدقاء، رغم ذلك ؟»

«بالتأكيد».

«إذن إخرجى معى الليلة»

«من الأفضل سيكولوجيا لو خرجت مع واحدة غيرى».

«ليذهب إلى الجحيم السيكولوجى!! ألم تسمعى عن شعر الكلب ؟».

كشرت ؛ وقال لها «تعالى معى، قولى نعم»

«أحب ذلك.. لكنى، لا أريد أن أضايق السيد بريت آدامز أكثر مما فعلت. وأظنه لا يعجبه خروجى مع أحد العاملين معه»

«لكننا لسنا فى جيوش معادية!!»

«أعرف ؛ لكن عندما أفكر فى سلوك المربيات السابقات..»

قاطعها «أنت مختلفة عنهن تماماً، لو لم يدرك آدامز ذلك بنفسه فهو أعمى»

«هناك أشياء كثيرة لا يراها»

مزح بيل ساخراً «لكن الفتيات الصغيرات الرقيقات يلفتن الأنظار».

«أتريد أن نخرج مع فتاة جيدة ؟»

«بالتأكيد ؛ هذه أول مرة لكل شىء!»

ضحكت ؛ ودفعته، وجذبها من يدها وسارا عائدين إلى المنزل وقال لها «أحضرى جاكت حتى نذهب إلى إيمبرا، وأراك فى السيارة بعد خمس دقائق»

www.elromancia.com

عادت وانطلقت السيارة إلى المدينة، وأسعدها موافقتها على الخروج، لأن بقائها كل ليلة فى غرفتها لن يحل شيئاً، ويجب أن تجبره على مصاحبة ابنته ولا يتجاهلها.

قطع بيل خواطرها «إلى أين ذهب بك خيالك؟ هل نذهب إلى الديسكو أن نتناول شرابا ونتحدث؟».

«الشراب يبدو أفضل.. خصوصاً لو كان مع سندويتش!! لم أتناول عشائى بسبب إسراعى للتحدث مع السيد آدامز».

«لا تقولى المزيد يا سيدتى، أعرف أن تجد أفضل السندويتشات».

فجأة ضغط بقدمه على الفرامل حتى تطوحت فى مقعدها ولمحت نخلة باسقة كادت السيارة ترتطم بها، وتوسلت إليه أن يبطىء السرعة.

«أسير فقط بسرعة ستين ميلا»

«عشرين ميلا سرعة فائقة بالنسبة لى»

«آسف».

بعد ربع ساعة وصلوا إيبرا، المدينة الساحلية الثرية بمنازلها القديمة على الطراز البرتغالى، والفنادق الأمريكية.

ودخلوا مطعما على الشاطىء، قاعته مزينة بديكورات رومانسية، والموسيقى تصدح فى أرجائه من مصدر خفى.

همس بيل «بريت هنا، آسف لذلك»

«لا تتأسف، لست سجينته»

بنظرة خاطفة لمحته جالساً على مقعد بامبو عند اليسار وحوله فتاتين.

شرح لها بيل «بائعات الزهور!!»

«ماذا تقصد؟»

«الفتيات، مظهرهن جميل سطحيا من الخارج، لكنهن فارغات تافهات مثل قطع الغبار المستعملة بريت نجم محبوب، طبعاً، لكن لو لم يكسبنه يكتفين بأى واحد من فريق العمل»

«يا للفظاعة!!».

«ألم تفكرى هكذا وأنت صغيرة!!»

«نعم، يا صغيرى!!»

«إقضمى السندويتش بدلا منى!!»

«أحب ذلك!!»

«عندما إستقروا حول مائدة غادر بريت آدامز البار وفعل مثلهم. كان فى وسط دستة من الرجال والنساء، ولمحت إيما مارتين المهندس، واثنين من الميكانيكية، وبدا الباقين برازيلين. حيث وضعت مائدتين بجوار بعضهما، وقبل مطالعة قائمة الطعام تعالى ضحكهم وكلامهم.

كان بريت آدامز هو محط الانتباه، كان يبتسم للجميع، هل هو سكران، تساءلت إيما فى سرها أم أنه يتباهى بجاذبيته؟

هى تراقبه، لمحت سيدة مخمورة تلتصق بجواره وعندما أبعد مقعده قهقهت وطوقت عنقه بذراعها؛ دفعها بعيداً عنه مرة أخرى وأدار ظهره لها، وركز إهتمامه على الفتاة الشقراء فى الجانب الآخر.

تساءلت إيما «هل الفتيات من المنطقة؟»

«نصفهن، الباقيات من بلاد مختلفة»

لمحته يتجاهل الشقراء أيضاً، ثم يثرثر مع أخرى قبالته وهو يرتشف كأس ويسكى.

سألته «هل السيد آدامز يشرب ويسكى أثناء التدريب؟»

«ليس سكيرا، والزجاجة التى بيده الآن زجاجة عصير عنب، ويتظاهر بأنه يشرب!!»

بعد الانتهاء من تناول السندويتشات سألها «هل إكتفيت؟».

«بالتأكيد!! أشعر أننى إمرأة جديدة»

«بأفكار جديدة!!»

«فقط بأفكارى القديمة، أخشى ذلك. أعنى ذلك يا بيل»

«أعرف، وسأتوقف عن الدعابة، هل تريدين المزيد من الخمر؟»

«لا، شكراً، لكننى أريد قهوة»

«سأذهب لإحضارها بسرعة»

خائفة من رؤية بريت آدامز لها، أدارت مقعدها وركزت عيونها على المائدة كانت تشعر ببدء صداع ــ ليس مدهشا فى ضوء متاعب المساء ــ واشتاقت للعودة للراحة فى غرفتها.

سمعت صوتاً يسألها «هل هجرك بيل؟» واضطرت للإلتفات لتواجه رجلا لاتريد مواجهته «لا؛ يا سيد آدامز ذهب لإحضار قهوتى».

«أخبريه أننا جميعاً متجهون إلى تونيس والدعوة موجهة لكما معا للإنضام لنا».

سأوصل الرسالة، لكننى عائدة إلى المنزل».

«مازلت غاضبة منى؛ يا آنسة فيلدنج؟ لماذا لاتنسى خلافنا؟ أنا نسيته»

«هذا لن يقربك منى!!»

«كما قلت لاأريد أن تكون مربية إبنتى من الموديلات العاريات، وأيضاً لاأريدها أن تكون عانس مقهورة مكبوتة!!

الرب وحده يعلم كيف تكون إبنتى فى هذه الحالة عندما تكبر!!»

«طالما أنك لاتضمن أن تكون على قيد الحياة لتراها، لماذا تقلق إذن؟»

«لمعت عيناه وقال «يوما ما سترحلين بعيداً جداً».

«يسعدنى أن أرحل الآن يا سيد آدامز وواثقة أنك ستجدين بديلا».

«بلا شك. لكننى لن أدعك تنصرفين بهذه السهولة؛ ستبقين حتى تأخذى ساندى للمدرسة فى إنجلترا».

هل تردنى أن أزورها هناك أيضاً؟ وتقضى معى الأجازة، ربما، إذن يكتمل إنتقامك».

«لاتضعين أفكارك فى ذهنى!! أبلغى رسالتى، ولو لم أراك معنا، أتمنى لك أحلاماً سعيدة!!»

لم تشاهده عائداً إلى المائدة، وبعد لحظة عاد بيل «آسف لتأخرى لأننى لم أستطع الإقتراب من البار»

جلس بيل ووضع فنجان القهوة أمامها وارتشفته بإمتنان، وإندهش لإرتعاش يدها وهى تقول «السيد آدامز يدعوننا للإنضمام لهم فى الذهاب إلى بوكنيتى»

«عظيم، ستعجبك، لديهم عازف بيانو ماهر».

«هل يضايقك لو لم أذهب الليلة؟ لقد أصابنى صداع لعين؛ لو يمكنك إحضار تاكسى..»

«لاتكونى سخيفة!! سأوصلك للمنزل»

فى الطريق قال بطريقة عابرة «هل لصداعك علاقة بالسيد آدامز؟ أو واثق أنه يهتم بكلامك عن ساندى».

لم توافقه إيما، وأمسكت لسانها وهى واثقة أنه يحاول أن

www.elromancia.com

يكون منصفا لصديقه ومخدومه.

وهمست له «كلاكما مختلف عن الآخر، كيف إستمرت صداقتكم؟»

«أظن بسبب تلاقى النقيضين، لكن بريت شخص من السهل كسب صداقته بخلاف رأيك فيه؛ وبمجرد أن تصبحى صديقته ستكون لمدى الحياة».

«هل لو خذلته».

«حتى لو حدث ذلك. هو من النوع الذى يختلق الأعذار دائماً لأصدقائه»

«لا أصدق ذلك، لقد فهمت أنه من النوع الذى لا يتسامح أبداً»

«غلطته أنه من النوع الذى لا يغمض عينيه من الخطأ، لكنه بخلاف الجميع، وعندما يتعلق الأمر بالنساء فهو مسامح جداً. أظن أن زواجه من إيلين قد علمه بعض الأشياء لكن..»

«آسف ليس من حقى مناقشة بريت، سيغضب لو عرف».

«أنت لست تغتابه، هو والد ساندى وربما تساعدنى لو فهمت حاله».

«الجميع لا يعرفن ذلك».

تنهدت إيما، وهى شغوفة وفضولها يدفعها لمعرفة المزيد عن والد ساندى.

وقفت السيارة خارج المنزل ونزلت إيما «يا لها من سهرة لطيفة يا بيل، آسفة لإنهائها مبكراً».

«هل يعنى ذلك إمكانية تكرارها»

«فى أى وقت!!»

جاء وقبل خدها، وإنصرفت إلى غرفتها، وتزايد الصداع وتناولت قرصين اسبرين وخلعت ملابسها، وهى تتخيل الشهور الست القادمة وما ستعانيه.

فهى تدرك صعوبة وتعقيد وغرور الرجل الذى تعمل عنده. ولكنها ذكرت نفسها أن تلك المشاكل لن تدوم معها سوى فترة العمل المؤقتة ويجب ألا تؤرق نفسها بالتفكير فيها.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

كابوس

جلست إيما فى سريرها ؛ وقلبها يخفق ، لقد ازعجها شيء ما ، وأنصتت ، ثم سمعتها مرة أخرى ، صرخة تردد صداها فى ليلة ظلماء صامتة .

أسرعت بقميص نومها عبر الممر إلى غرفة ساندى ، وسمعت الصرخة مرة أخرى ، بوضوح أكثر ؛ مؤكد أن ساندى تعانى من كابوس مزعج وفتحت إيما الباب برفق ، كانت الطفلة متكورة حول نفسها فى السرير ، وأضاءت اللمبة بجوار السرير ؛ وصحت الطفلة وإيما تطوقها بذراعيها وتسألها «ماذا حدث يا عزيزتى ؟»

«أشعر بالمرض» .

«سأقيس لك الحرارة» .

رأت حرارتها مرتفعة وإنزعجت لذلك ، وتحيرت ماذا تفعل ، لو كانت وحدها هنا ربما تصرفت بمفردها لكن بريت آدامز هنا ، فلا مبرر لتحملك تلك المسئولية . فى الواقع ربما يجعله مرض إبنته يفيق من غيبوته !!

على الجانب الآخر ، غالبا ما ترتفع درجة حرارة الأطفال لساعات فقط ؛ وستظهر جنونها لو إستدعته بلا ضرورة . يجب الانتظار ريثما يحضر ؛ عموما ، فهى لا تتوقع مجيئه مبكراً الليلة .

قالت للطفلة برفق «سأعطيك إسبرينا ، وبعدئذ ضمادات باردة ، ستجعلك تتحسنين» .

بعد أن أنهت ذلك سألتها «هل تريدين أن أجلس معك لفترة ؟»

«أريد أن تقضى الليلة كلها معى» مدت يدها الصغيرة تمسك بها «أتحسن عندما تكونين معى» .

«إذن لن أتركك ، سأضع المقعد بجوار السرير وتمسكين بيدى» .

بعد فترة نامت ساندى ، وبعد نصف ساعة عندما سحبت يدها ، بكت الطفلة وإستيقظت ، هدأتها إيما «لا تبكى يا عزيزتى مازلت هنا ، لن أتركك أبداً» .

سمعت صوتاً قوياً يسأل «ماذا يجرى ؟»

إلتفتت إيما لتجد والد الطفلة بالباب والجاكت على ذراعه ، أجابته «حرارة ساندى مرتفعة» تقدم بجوار السرير وقال «هى حساسة للبرد ، لا تبكى يا ساندى ؛ أنت فتاة كبيرة ، ولست طفلة»

«لست فتاة كبيرة» إنهمرت دموعها وكشر أباها .

نظرت إيما إليه ، لكنه بدلا من إقترابه من ابنته ، إبتعد وقال «لا حاجة لبقائك معها يا آنسة فيلدنج ، نادى ماريا ، فهى معها منذ أعوام ، وتعرف كيف تتصرف»

بكت ساندى «لا أحب ماريا ، أحب إيما» .

«لا تتوقعى منها أن تبقى بجوارك طيلة الليل» .

ردت إيما بنعومة «لا يهمنى».

إتجه إلى الباب «من فضلك إذن ليلة سعيدة يا ساندى، أنا واثق أنك ستكونين على ما يرام فى الصباح».

«لا تذهب يا بابا».

«يجب أن أذهب، أنا مشغول بالعمل طيلة الغد وأحتاج للراحة والنوم الآن».

خرج وانتحبت الطفلة، ورتبت إيما على ظهرها، وهى تتمنى أن تضرب أباها. يا له من حلوف لا قلب له!! كيف يتحمل أب الإبتعاد عن إبنته وهى مريضة؟؟

بكت ساندى «بابا لا يحبنى، يكرهنى لأن أمى هربت وهذه هى غلطتى»

كانت العبارة صدمة لإيما؛ وقالت «هذا غباء منك أن تقولى هذا يا عزيزتى أمك مرضت وماتت، هذا مختلف تماما عن الهرب وتركك».

إنتحبت ساندى «أمى لم تكن مريضة، هربت وقتلت، الآنسة أوبتون قالت لى ذلك»

«من هى الآنسة أوبتون؟»

«كانت مربيتى»

«إذن الآنسة أوبتون كانت غبية جداً ولم تقل لك الحقيقة، لو كان بابا يعرف ما قالته لكان إنفجر غضباً فيها، فهو يحبك جداً أكثر من أى إنسان فى العالم، إذا لماذا تظنين أنه طلب منى المجىء من إنجلترا لرعايتك؟»

إستندت ساندى على ذراع إيما وتفحصت وجهها «هل قلت أنه يحبنى؟»

«أكثر من الحب» كانت إيما كاذبة لكن الفتاة أشرق

وجهها بإبتسامة.

بعد فترة نامت الطفلة وأسندت إيما رأسها على مقعدها بجوارها السرير، وعندما دخلت ماريا الساعة الثالثة والنصف كان الصداع ينهش دماغ إيما.

همست لها «السيد آدامز طلب منى أن أبقى بجوارها وتنامى أنت»

عادت إيما إلى غرفتها ونامت ولم تستيقظ حتى الحادية عشر صباحاً، وأخذت حماماً سريعا؛ وارتدت فستانا قطنياً وذهبت لترى الطفلة.

وهى تتأمل فيما قالته لها أمس. حتى لو كان صحيحاً أن المرأة هربت من زوجها، فما هو الدافع الخبيث الذى جعل الآنسة أوبتون تحمل الطفلة اللوم؟ التفسير الوحيد أن ساندى أرهقتها حتى نفذ صبرها وأرادت أن تجرحها ومع ذلك فهذا سلوك وحش ما قالته للطفلة خصوصاً فى حالة ساندى وإنشغال أبيها عنها.

فى منتصف الممر عندما قابلتها ماريا وقالت لها «الطبيب مع السيد آدامز عند ساندى فهى مصابة بحمى خطيرة».

يا لفظاعة كلمة الحمى، أخفق قلب إيما لسماعها، وأسرعت عبر الممر، حتى لحقت بوالد ساندى وطبيب برازيلى من جاء من عيادة ليلية، وقال لها بريت آدامز «لم أدرك أنك إستيقظت، أتمنى أن تكونى قد نمت؟»

«نمت ما فيه الكفاية، كيف حال ساندى؟»

أجابها «نزلة برد، سأزورها غداً مالم تتصلى بى»

بعد إنصراف الطبيب، نظرت إيما فى وجه بريت آدامز وقالت «هل يمكننى التحدث معك على إنفراد؟».

«عن ماذا هذه المرة؟ أظننا قلنا كل ما يمكن أن يقال ليلة أمس».

«ليس تماماً».

دخل إلى غرفة اللعب «حسنا، قولى ما عندك»

لم تجد ضرورة لأى دبلوماسية وقالت مباشرة «ليلة أمس قالت ساندى لى أن الآنسة أوبتوت أخبرتها أنك تلوم ساندى على هروب زوجتك ثم ماتت بعد ذلك».

«ماذا؟» إنتفخت أوداجه وتقلصت عضلات حلقه.

«وهذا هو سبب إعتقاد ساندى أنك لا تحبها ولا تقضى أى وقت معها».

أبعد وجهه وشعرت هى بتعاطف معه «آسفة على مصارحتى لك بذلك يا سيد آدامز لكنها مسألة خطيرة بالنسبة لطفلة وعبء لا تتحمله».

«أوافقك؛ سأتحدث معها بمجرد تحسنها فى نفس الوقت.. سأكون ممتنا لو توقفت عن التدخل فى شئونى، لقد إستأجرتك كمربية ولست كمخبر سرى»

يا له من إتهام ظالم لا تطيقه إيما «لو كنت تظن أننى أجبرت ساندى على المصارحة والإعتراف يجب أن تعيد التفكير لا يهمنى ما تفعله بحياتك؛ بإستثناء ما يؤثر على إبنتك!!».

وهو يدمدم خطا خارج الغرفة وقالت له «هذا صحيح، إهرى!! هذه هى إجابتك على كل شىء، عندما يتعلق الأمر بإبنتك؛ ربما تكون عبقريا فى السيارات، لكنك تافه كأب!!»

توقف، ورمقها بنظرات، ولو كان بإمكان النظرات أن تصبح قاتلة لقتلها، وقال لها «قلت لك السبب فى إبتعادى

عنها، لماذا لا تتركنى لشأنى!!»

«لأن الأمور لن تتحسن!! تحدث مع أى سيكولوجى عن الطريقة التى تعامل بها ساندى ولو وافقوا عليها، سأركع على ركبتى وأقبل حذاءك!!».

رمقته بنظرات عدائية وجسدها يموج بتوتره، وصدرها يعلو ويهبط، وتلاقت العيون، حتى أخفض ناظريه وسألها «هل تحاولين إصلاحى؟»

«لا، يا سيد آدمز. حياتك هى من شأنك لتعيرها أينما تشاء، إن كان هذا ما تريد. لكن لا أستطيع الوقوف حايدة وأشاهدك تدمر إبنتك!!»

«تقصدين أنك سترحلين لو لم أفعل ما تطلبين منى؟»

«لا، لقد وعدتك بالبقاء معها حتى دخولها المدرسة ولن أتراجع فى كلمتى»

«حسنا، إذن ليس لديك ما يمكنك من إبتزازى!!».

قبل أن ترد إنصرافى.

ساءت حالة ساندى، ومع بداية الماء إرتفعت حرارتها وبدأت تكح وتسعل وعندما عاد الدكتور داسيلفا قال «ربما تعانى من شىء ما، يجب وضعها تحت الملاحظة»

قررت إيما أن تنام مع الطفلة فى غرفتها ونقلت سريرها، وإبتهجت ساندى لذلك ونامت بسرعة، وتركت ماريا معها حتى تخرج لنزهتها اليومية فى الحديقة.

عادت إلى المنزل بسرعة، وسمعت ضحكات قادمة من غرفة الإستقبال الرئيسية فى المنزل، ولم تندهش لو رأت بريت آدامز وسطهم.

فهو لم يقترب من إبنته طيلة اليوم ومع ذلك سمعها تتحدث

مع الطبيب عندما عاد ليفحصها.

وتنهدت وهى تصعد السلم وفى منتصفه سمعت صرخة، وقفزت بقية الدرج، وأسرعت داخل غرفة ساندى، ووجدت ماريا تطوقها بذراعيها، أمرتها بسرعة «أبلغى السيد آدامز لإستدعاء الطبيب».

وهى تسعل قالت الطفلة «صدرى يؤلمنى».

«أعرف يا حبيبتى، الأفضل ألا تتحدثى»

«ماريا تقول أن ساندى تعانى من صعوبة التنفس» قالها بريت آدامز وهو عند الباب.

عندما رأته مدت ساندى ذراعها «أمسكنى يا بابا!».

بلطف جاء جوارها ورفعها فى حضنه «لا تتحدثى يا صغيرتى، هذا يؤذيك».

بعد فترة جاء الطبيب، كانت إيما نائمة ولم تشعر به وهو يفحصها.

أعلن الطبيب «لا أدرى ماذا بها فلست واثقا، لكن يسعدنى أن تكون فى المستشفى».

«المستشفى؟» صاح بريت آدامز «ألا يمكننا إحضار ممرضة هنا؟».

«طبعا، لكن فى المستشفى يمكن معالجة كل شىء، أعتقد أن ذلك فعلا أصوب».

قال بريت آدامز «لا أريد ذهابها إلى إيمبرا، لى صديق له عيادة فى ريو وسآخذها فوراً إليه».

رد الدكتور داسيلفا «لقد فاتتك آخر طائرة، وبصراحة مطلقة، أود إدخالها للمستشفى بأسرع ما يمكن».

رد بحسم لينهى المناقشة «سأؤجر طائرة خاصة إذن، لو

رتبت إحضار ممرضة أو أى شىء ضرورى...» ونظر إلى إيما «جهزى ساندى، من فضلك، سأعود فور إجراء الترتيبات، والأفضل أن تأتى معنا أيضاً. بمجرد تحسنها ستحتاج لتسلية».

دعت إيما من أعماق قلبها يارب عجل بشفائها؛ وبعد ساعتين كانت تجلس بجوار ممرضة فى طائرة جيت تحلق بهم صوب الشمال وسط سماء صافية. ولم تشعر بالخوف من الطيران، بل كل خوفها تركز على الطفلة النائمة فى حضن أبيها.

أذهلها تغير مشاعره، هل هذا سبب شعوره بالذنب أم لإدراكه أنه أذى نفسه وإبنته بإبعادها عنه؟ أكان يجب أن يحدث مرضها ليدرك ذلك ويظهر مشاعره الحقيقية ويا للأسى لو كان سلوكه ومشاعره الجديدة قد جاءت بعد فوات الأوان!!.

شعرت من صوت محركات الطائرة أنها تهبط بهم، بجواره نامت الممرضة؛ لكن بريت آدامز لم يحرك ساكناً منذ جلوسه فى الطائرة ومازال ممسكاً بساندى؛ وكانت إيما واثقة أنه لم ينم رغم إظهاره الإجهاد، أو التعب.

عندما لامست عجلات الطائرة أرض الممر إستيقظت الممرضة، وإتجهت ناحية ساندى وتحاول تدفئتها بيديها، ولكن عندما حاول حملها؛ هز أبوها رأسه.

وسألته الطفلة بصوت مبحوح «أين نحن يا بابا؟»

«فى ريو، يا ملاكى. سنذهب لعيادة الطبيب حتى تتحسنين».

وحملها بعناية وهبط من الطائرة حيث كانت فى الإنتظار سيارة إسعاف، وقال لإيما، لقد رتبت لمجىء سيارة وسائقها ليوصلك إلى الفندق مباشرة».

«الأفضل أن أذهب معكم إلى العيادة»

صعد السيارة وخلفه الممرضة وترك إيما لتكمل مسيرها إلى السيارة، ولقد أدهشها دقة ترتيباته. ولكن لا عجب فهو رجل إعتاد تركيز ذهنه فى مضمار السباق أمامه، وهى القدرة التى أوصلته إلى القمة.

تحيرت فى فهمها له؛ بالأمس كانت تتشكك فى مشاعره لكن الآن عندما تسترجع ساعات سهره على إبنته الليلة تدرك مدى غموضه مثل لغز أبى الهول الصامت حقاً كلما إقتربت منه كلما إلتبس عليها فهمه.

نسيت أن تسأله عن عنوان الفندق أو العيادة، ولذا إضطرت لتقليد أفلام هوليوود وأمرت سائقها أن يسير «خلف سيارة الإسعاف البيضاء». ولقد نلعت على أمرها كل ثانية فى الربع الساعة التالية عبر شوارع ريودى جانيرو المزدحمة؛ وكأن السيارات تأتى من الإتجاهات الأربع، والإشارات مثلها مثل السائقين لا تقرر على قرار ولا تحترم المشاة، وللإرهاق الذى أثقل كاهلها طيلة الأربع وعشرين ساعة الماضية، إسترخت إيما فى مقعدها وتركت الأمور تسير كما يشاء لها قدرها. وإندهشت عندما شعرت بصمت مطبق حولها وفهمت أنها وصلت لمبنى المستشفى الأبيض الحديث بطوابقه الخمسة، وأمامه ميدان واسع فسيح ملىء بالأشجار الظليلة الخضراء.

دخلت لوبى المبنى مكيف الهواء ولمحت باب المصعد يغلق خلف بريت آدامز، وإتجهت إلى مكتب الإستعلامات، بعد لحظات إقتيدت إلى إستراحة فى الطابق الأرضى، وحاولت أن تسترخى وجلست، وعندما تصفحت كومة المجلات على المائدة وسط الغرفة وجدتها كلها باللغة البرتغالية والمجلة الإنجليزية

الوحيدة التى عثرت عليها وسطهم كانت مجلة علمية، ولذا أغمضت عينيها وأصبحت على شفا النعاس، حتى شعرت بوجود أحد ورفعت رموشها لترى بريت آدامز يرمقها بنظراته وقبل أن تنبس ببنت شفة بادرها قائلاً «لا جديد بعد. تم فحص ساندى ونحن فى إنتظار النتائج. لذا يجب أن ننصرف الآن».

سألته إيما «ألا ترى ضرورة لبقائى معها؟» قد تنفعل عندما تجد نفسها بمفردها».

«هى فى غيبوبة ولا تدرى شيئاً».

لكنها وهى تسير خلفه قررت أن تعود بأسرع ما يمكن، سواء نامت أو لم تنم، فهى تشعر أن ساندى بحاجة لوجه مألوف لها بجوارها.

كانت المسافة إلى الفندق هادئة؛ فلقد قاد السائق السيارة بحرص شديد لوعيه بأن الراكب مشهور جداً، وأيضاً لم تسترخى أعصاب إيما لإهتمامها بالراكب جوارها، وبطرف عينه لمحها، وقال دون توقع مسبق «مؤكد أنك مرهقة جداً، كنت نافذة الصبر وكأنك تتقلبين على جر النار ونحن فى الطائرة».

«كيف أدركت ذلك؟».

«لم تنظرين من نافذة الطائرة، وكنت ترتعشين كفار فى المصيدة كلما إهتزت كابينة الطائرة!».

ردت بإختصار «كلنا لنا وساوس ومخاوف»

«حقا، أحد مخاوفى عندما أركب سيارة لا أقودها؛ عندما لا يكون معى راكب آخر؛ أتظاهر وكأننى لست فى السيارة».

لم تكن إيما واثقة من مدى جديته وهل يداعبها أم لا؛ وظلت حائرة حتى وصولهم الفندق؛ وهو عبارة عن ناطحة

سحاب على الشاطىء.

بعد كل ما سمعته عن الشاطىء المشهور، وعند مشاهدته لأول مرة خاب أملها تماماً، حقاً هناك مياه البحر المترامية الزرقاء يحفها رمال شاطىء بيضاء ناعمة، وكورنيش واسع يتمشى عليه الناس؛ لكن هناك إفتقار للون الأخضر ولوجود الأشجار؛ بل تتناثر الفنادق على الخليج لتحول المشهد كله إلى غابة من الأسمنت.

لكن بمجرد دخول الفندق إجتاحها شعور وإنبهار بالنجف والكريستال اللامع والأرضية الرخامية والحراس المتأهبون للأداء أى خدمات.

لاحظت إيما أن بريت آدام صار محط أنظار الجميع، كان كل شخص يلكز صاحبه ويشير نحوه. حتى لو كان يكن مشهوراً يكفيه جاذبيته المغناطيسية التى تستقطب أنظار الجميع بما فيهن النساء طبعاً، وللمرة الأولى خطر لها أن تتساءل ما إذا كانت زوجته قد هجرته لأنه لم يكن وفياً لها.

وعندما تتذكر بائعات الزهور يبدو لها هذا إحتمالا ممكنا. ولو كانت الحالة هكذا، فلماذا لم تأخذ زوجته ساندى معها؟ هناك أسئلة كثيرة تريد الإجابة عليها، ولأن بريت آدامز مزهو مصدرها الوحيد للمعلومات، فى هذه الحالة يجب أن تكبح جاح فضولها.

سمعت أحداً يناديها ولمحته يقف عند المصعد. وبسرعة لحقت به وبعد دقائق وعندما أشارت لوحة المصعد إلى الدور الثامن عشر قال لها «إنزلى هنال حيث غرفتك، أما غرفتى ففى الطابق التالى».

بحلق جاف سألته «هل ستعود إلى المستشفى بعد أن

نرتاح؟» «بمجرد أن أرتاح لكننى أود أن أعود بمفردى»

«سأرتاح لو ذهبت إليها»

هز كتفيه «سأخذ حمام، وأحلق ذقنى وأتناول إفطارى، ولو أردت المجىء معى إستعدى بعد ساعة ونصف».

كانت غرفة إيما أكثر من قدرة كلمة فخمة على وصفها، وكان الحمام شيئاً من الأحلام، جدرانه مرآة، وبانيو دائرى بصنابير ذهبية على أشكال الدولفين. وألقت بجسدها لتغطس فى المياه الدافئة، بعد ذلك تسللت خارجة وإرتدت ملابسها، وترددت فى طلب الإفطار لغرفتها أم النزول، ووجدت على تسريحتها قائمة بخدمات الفندق: المطاعم الفرنسية والبرازيلية والبارات الفاخرة، والجينزيوم وحمامات الساونا، والأسواق الفاخرة.

قررت عندما تحين لها الفرصة أن تشاهد كل ذلك. وارتدت ملابسها، وهى تتناول حقيبتها سمعت طرقات الباب ودخول الجرسونة وهى تدفع ترولى الطعام.

صاحت مندهشة «لم أطلب شيئاً» وتذكرت أن بريت آدامز هو الذى فعلها.

غمرها سرور وسعادة وهى تفكر فى قيامه بذلك خشية أن تنزل إلى البار، وقالت سألعب نفسى لعبته، وأحاول معرفة المطعم الذى سيتناول فيه غذائه وعشائه وأتجنبه.

فى الموعد المحدد كانت فى إنتظاره أمام عارضة الكتب والصحف ولمحت نسخة صحفية التايمز، وباقى المجلات وعادت لتشاهد الناس القادمين من المصاعد ولمحت بريت آدامز قادما فى أبهى حله، بنطلون صوفى لطيف، وسويتر بنى بحواف زرقاء، وكأنها ترى شخصاً غريباً عنها، وحاولت تخيل رد فعلها

لو كان غريبا فعلاً. ورأته يخلب العقل بحسن مظهره وثقته البالغة بنفسه؛ التى تذهب بعقل أى إمرأة !!

أرعبها المدى الذى أخذتها أفكارها إليه وذهبت للحاق به؛ بأعصاب باردة.

كالعادة لم يخطو خطوة واحدة ناحيتها، ويظل يرقبها بنصف إغماضة عين مما جعل مستحيلا عليها التكهن بحقيقة أفكاره. وإعترفت أنه يبعث فيها دفئاً غريباً؛ وهى تتذكر تلك الكلمات النابية التى قالتها له، ولم يرد لها الصاع صاعين كما يحدث عادة !!

سألها بلهجة عادية «أتشعرين الآن بالإنتعاش ؟»

أومأت بأدب، وذهبت معه إلى سيارتهم، وهى بجواره تفحصت ملامحه وأدركت أنه يبدو أصغر من عمره الفعلى، رغم الهالات تحت عيونه وحول جانبى فمه. ولكنه يبدو غير سعيداً الآن، وشفتاه تلتويان وكأنه يشمئز من العالم. تسألت أهذا هو السبب لإختياره مهنة الموت ؟.

رغم ذلك فحياته لا تخلو من عاطفة إتضحت أثناء مرض إبنته ساندى؛ مما يكفى لتكذيب مزاعم الآنسة أوبتون. لكن ماذا عن الأشياء الأخرى التى قالتها، واضح أن الموت ليس هو السبب الوحيد الذى فرق بين والدى ساندى، بل أمها السيدة آدامز هى التى هجرت زوجها حتى قتلت ولقيت حتفها. وهذا طبعاً، هو السبب الحقيقى الذى جعل إبنتها بعيدة عن أبيها، لأنها تذكره بزوجته التى مازال يحبها ويحزن على فراقها.

وربما يكون السبب فى إستغراقه فى السباق. عادة ما ينهك الناس أنفسهم فى عملهم كوسيلة لتأسية أنفسهم ونسيان أحزانهم. أم بدأ ذلك معه قبل رحيلها، ويصبح هذا السبب فى

هجرها له.

كان فضول إيما قويا، لتعرف حياة مخدومها ماضية، حاضرة، مستقبلة، لكنها قالت لا شأن لى به، ويجب التوقف عنان التفكير فيه.

سألها «ماذا تقولين ؟»

فزعت، وأدركت أن صوتها خانها وإرتفع فى غيبة إنتباهها، ولذا ردت بأول شىء خطر لها «كنت أفكر فيما قلته بأنك لا تحب أن يقود أحد بك السيارة؛ وأنا مندهشة لأنك لم تستأجر سيارة أتوماتيكية».

أجابها «أعصابى لا تتحمل إزدحام ريو؛ هذا ما أمكننى فعله لمكافئتك».

ضحكت حتى تعالت قهقهاتها.

قال لها «أول مرة أرى أسنانك؛ رغم أنك كنت ستاكلیننى بهم !!».

ضحكت ببراعة «تصورنى وكأنى شرسة جداً»

«أنت شرسة فعلا»

«فقط عندما أكون على حق».

«دائماً تظن الناس أنهن على حق».

وصلوا المستشفى؛ وابلغوا أن الدكتور فيلو الذى يرعى ساندى يريد التحدث معهم؛ وفى الطابق الأول وفى غرفته الجانبية قابلوا الطبيب وهو رجل لطيف الحديث فى بداية الإربعنيات تقدم للترحيب بهم.

بدأ حديثه «ساندى تعانى من إلتهاب شعب هوائية، والساعات القادمة حرجة جداً».

تجمد قلب إيما وتعالى ضرباته فى أذنيها.

سأل بريت آدامز الطبيب «ما هى فرصتها فى الشفاء يا دكتور؟ ولا تعطينى أملاً خادعاً أريد الحقيقة».

«أفهم؛ لكن ليس من السهل تحديده. لكن يجب أن أقول أنها خمسين بالمائة».

«إذن يجب أن أبقى هنا».

«طبعا» إتجه الطبيب إلى الباب «هل تريد أنت وزوجتك رؤية ساندى».

ردت إيما وهى تسير خلفها «أنا مربيتها» وعند دخولهم الغرفة الصغيرة المليئة بالأجهزة المخيفة.

وجدوا ساندى فى خيمة بلاستيكية، عيونها مغمضة، جسدها مغطى؛ وبمجرد دخولهم إبتعدت الممرضة عن السرير وتحدثت مع الطبيب بكلمات قليلة، الذى إتجه ليفحص الطفلة.

تبعه بريت آدامز ووضع يده فوق البطانية؛ نطقت الطفلة «بابا!!»

كان صوتها هامسا خافتاً وإلتفت أبوها وفى خطوتين كان بجوار السرير؛ وركع حتى حاذى وجهه وجه إبنته.

وقال بصوت مرتعش «مرحباً يا ملاكى، ظننت أنك نائمة».

«كنت نائمة.. أين أنا؟».

«فى مستشفى فى ريو».

«هل جئت هنا معى؟».

كان صوت ساندى مبحوحاً ضعيفاً وملأت الدموع عيون إيما، ودعت من كل قلبها أن يدرك مغزى سؤال الطفلة.

رد «طبعاً أنا معك، أنت حبيبة بابا، ولم أكن لأدعك

تجيئين وحدك».

«هل إيما هنا أيضاً؟».

«هى خلفى».

إبتعد حتى يتيح لساندى أن تراها وخطت إيما ناحيتها «مرحبا يا حبيبتى، لا يمنك التخلص منى بسهولة!! سأظل هنا حتى تصبحين بأحسن حال وتعودين إلى المنزل».

حاولت ساندى أن تتحدث؛ لكن بمجرد إنفراج شفتيها، سقطت رأسها على الوسادة وتجمد جسدها، وصاح أبوها «يا ربى!! هل هى..».

أجابه الدكتور فيلهو «نائمة» وهو يتناول معصمها ليقيس نبضها «لم ترتح منذ رأتكم، ولأنها تعرف أنكما هنا..» وابتسم «الطفلة متعلقة بأبويها وهذا يفيد حيثما يفشل العلاج الطبى».

«أخشى أننى لم أكن قريباً جداً منها».

«ليست المسألة كم الوقت الذى تقضيه معها بل حرارة المشاعر نحوها».

«لم أسمح لنفسى بإظهار مشاعرى نحوها»

إستمعت لإعترافه، وإمتلأ قلب إيما بالشفقة عليه، فليس من السهل على رجل مثله أن يعترف هكذا؛ وهى تعرف أن شعوره بالذنب هو الذى أجبره، كنوع من التنفيس.

رد الطبيب «الآن طفلتك تعرف أنك تحبها. وهذا كل ما يهمها».

«هل تعرف بصراحة أنها أدركت ذلك؟»

«بدون شك. أنظر كيف تنام بهدوء وفى سلام.. وهذا لم يحدث لها إلا بعد مجيئك».

لمعت جفونه وأدركت إيما أن الدموع بللتها ؛ وفى صمت فتح الطبيب الباب «هناك غرفة فى نهاية الطرقة يمكنكم الإنتظار بها».

«لو حدث تغيير، هل..»

«فوراً».

ظلت إيما وبريت آدامز بقية اليوم فى المستشفى وإندهشت لأنها لم تتوقع من رجل بمثل حركته وحيويته أن يبقى جالساً طيلة تلك الفترة، وندهت على كل ماتفوهت به من إتهامات له.

تكررت مرات ذهابه للإطمئنان على ساندى والتحدث مع الممرضة المصاحبة لها.

فى نهاية اليوم سألته إيما «هل تفضلين أن اذهب إلى الفندق؟»

رد حاسماً «بالتأكيد لا ؛ تسعدنى صحبتك».

لأنه لم يتحدث معها طيلة ذلك الساعات لم تستطع تصديقه، و وأضاف هو «أقصد، إيما، رغم صمتك، فالتوتر والقلق عليها واضح عليك».

«هذا مدح ممزوج بالذم، لكنه عموما أفضل من الذم الخالص!!»

ضحك لأول مرة «الأفضل أن تنادينى يا بريت، بعد الحقائق التى دفعتنى بها أظننا لم نعد غرباء!!»

هو على حق، يجب أن تناديه بدون تعليق.

قال وهو يسىء الظن بملامحها «ولكن هذا لن يدفعنى للإقتراب منك».

«ربما يدفعنى أنا»

«أشك فى ذلك. لقد أوضحت رأيك فى شخص بما لا يقبل الشك».

«لقد كنت وقحة ومتطاولة جداً، يامستر... يا بريت أنا فى غاية الأسف».

«لا، لاتتأسفي!! ولا يجب، كل شىء قلته صحيح، لكن لتركيز على المستقبل، أليس كذلك؟».

«أنت غير ملوم على مرض ساندى»

«أشعر أننى المسئول، لو كانت أسعد، ربما لم يصبها هذا المرض»

«السعداء يمرضون أيضاً، وسوف تشفى ساندى وتتحسن. د. فيلهو قال أن وجودك يساعدها على سرعة الشفاء».

«شكراً على كلماتك الرقيقة الوعظية، أنت فتاة عظيمة يا إيما».

توردت خجلاً، وأطرقت برأسها تنظر إلى مجلة فوق حجرها. سألها دون توقع «كيف كانت حياتك قبل مجيئك هنا؟».

«كانت حياة أكثر كدراً وتعاسة من هنا».

«كدر وتعاسة؟ لكنك تعيشين مثل راهبة فى دير!!»

«شبه راهبة!! أعيش فى منزل عجيب مع دستة رجال مبتذلين!!»

«من منهم لم تنظرى إليه نظرة ثانية فيما دا بيل ودائماً تتباعدين عنهم».

ادهشها دقة ملاحظته، ولكنه رفع حاجبيه وقال «أنا أراقبك يا إيما، فى الواقع، حتى أتعيد لك الخطأ، وتظهرين حقيقتك!! لكنك خيبت رجائى، لم تتعرين أبداً فى البكين،

عندما كنت تأخذين ساندى إلى الحديقة ولم تنضمى لعمالى وهم يشربون فى المساء!!»

«ماذا كنت ستفعل لو فعلت أنا ذلك؟»

«أعيدك حيثما جئت. بعد كارثة تعيننى للمربية السابقة لم أعد أطيق تكرار ذلك»

«يا له من تعسف ألا تظن ذلك؟ هل كان شريكى سيعاقب معى؟».

هز رأسه وعلقت «لا أعتبر ذلك عدلاً!»

«فى خبرتى دائماً المرأة هى التى تبدأ اللعبة!!».

إسترجعت كل اللائى شاهدتهن معه وقالت بحسم «الرجال دائماً يجيدون المرأة التى يبحثون عنها وتليق بهم»

«هل هذا غمز وتعريض بى؟»

«حسناً، أنا..».

«أنت على حق، فى السنوات الأخيرة كنت استمتع بلذاتى حيثما أريد»

أبعدت عيونها خجلا، وتشككت أن صراحته بسبب إجهاده وأنه سيندم بعد ذلك وساد الصمت بينهما لفترة، وظنت أنه نام. وعندما قامت لتحضر مجلة فوق المائدة رأت عيونه مفتوحتان.

وقالت «يدهشنى جلوسك هادئاً طيلة هذا الوقت»

«أحاول؛ فلقد وجدتها أفضل وسيلة للاسترخاء»

«هل تعلمت من أحد؟»

«من رجل هندى علمنى اليوجا».

«لا أستطيع تخيلك واقفا على رأسك مثلهم!»

«لم أفعلها، والرجل الهندى كان طياراً!! ولو تعلمتها ربما

تساعدك فى التركيز على الجوهر».

«مثلما تفعل أنت مع بائعات الزهور!!»

«هن صائدات المشاهير ــ ولا يعنين لى شيئاً».

«تبدو ساخراً!!»

«فعلا يا عزيزتى، أنا ساخر، كما قلت لك حب المرأة هو عاطفة لا أتلفت لها، ولا تعنى لى شيئاً أكثر من الرغبة الجسدية».

«لكن الحب كان الدافع لأعظم إنجازات الرجل».

عارضها «بل الرغبة الجسدية، بمجرد أن يجعل الرجل نفسه أسيراً للحب يغرق فى أغلال العبودية».

وقف وإعتدل، وذهبت هى لتقف بجوار النافذة.

إقترح بريت «لماذا لا تذهبين للتجول فى ريو؛ أنت لم تشاهدى المدينة».

«لست مستعدة نفسيا».

«لو...» توقفت ندما لمح قدوم الممرضة وسألها بصوت مرتعش «ساندى؟»

«استيقظت وتريد أن تراكم» نظرت إلى إيما «تريدك أيضاً».

إسرعت إيما وهى سعيدة لكنها حزنت عندما رأتها مستلقاة فى سريرها.

سألها أبوها «تشعرين بتحسن يا صغيرتى»

«مازلت أشعر بألم عندما أتنفس «مدت يدها إليه» متى نعود إلى المنزل يا بابا؟»

ليس قبل أن تتحسنى وتعودى معى»

أشرق وجهها البرىء بإبتسامة وجذبت يد أباها على خدها

www.elromancia.com

«أحبك يا بابا».

«وأنا أحبك» وإرتعشت يده وهو يقبل جبينها.

همست «هل إيما هنا؟»

«أنا هنا يا حبيبتي، يجب أن تتحسنى بسرعة أنا متلهفة عليك».

«يمكنك أن تعتنى ببابا»

أجابتها إيما بمرح «هذه مهمتك، يجب أن تستريحى الآن، يا عزيزتى، سنراك مرة أخرى».

عادوا إلى غرفة الإنتظار وأوشك النهار على الرحيل، وجاء الدكتور قبلهو الساعة الخامسة والنصف ليبلغهم أن حرارة ساندى إنخفضت وهى مازالت نائمة.

وأضاف «ليس أمامكم ما تفعلونه هنا، الأفضل لكما أن تعودوا إلى الفندق، وسأتصل بكما هناك كلما جد جديد».

تقبلوا إقتراحه وعادوا إلى قصر بلازا لم يطلب بريت من إيما العشاء معه، وعندما عادت إلى غرفتها قررت النزول إلى المطعم لم لا؟.

ولكنها تراجعت، وهى تتحير فى شخص بريت آدامز، وجاذبيته التى سحرتها وقالت لو إنصعت وراء عاطفتى ربما تكون هى رغبة السماء حتى يقلع بريت عن السباق المميت!!

الفصل الخامس

جبل السكر

إنتهت إيما من أفكارها وخواطرها الشاردة على رنين جهاز التليفون، وخفق قلبها وأسرعة لترد؛ وإرتاحت عندما تعرف على صوت بيل.

قال لها «إتصلت فقط للإطمئنان عليك، تحدثت مع بريت وقال أن ساندى تتحسن».

«فعلا، لكنها ضعيفة جدا وهذا يرعبنى».

«لا تخافى؛ دائماً الأطفال هكذا، وهى طفلة عنيدة»

سألت «كيف تسير أمورك؟»

«تمام بدون وجود الريس، ماذا تفعلين؟»

«مترددة بين العشاء فى الغرفة أو الذهاب إلى المطعم».

«إنزلى، يجب ألا تختبأ فتاة رقيقة مثلك فى غرفة نومها!!»

«أنت يا رجال سباق السيارات، أفكاركم دائماً تسير فى إتجاه واحد!!»

«دعك من السباقات، وستكونين بخير»

www.elromancia.com

ضحكت «شكرا على إتصالك ومداعبتك لكنك لست هنا ويؤسفنى ذلك».

تقولين ذلك لأننى بعيداً جداً، لكن لو كنت فى الطابق التالى لأغلقت الباب عليك فى وجهى!!».

«أظنك تعتبرنى فتاة رجعية ساذجة»

«أظنك لا تحبين، عندما تقعين فى الحب لن تتراجعى».

ظل تعليقه يدور بذهنها طويلاً حتى بعد إنتهاء حديثهما. هل هو على حق؟ فعلاً لم تعش أبداً قصة حب، فهى لا تدرى كيف يكون الحب. حتى الذين تعرفت عليهم فى كلية التربية، لم يجذبها أحدهم، لدرجة أنها خافت من عدم علاقاتها للرجل الذى تتمناه أبداً!!

قالت بصوت عال «إذن سأظل وحيدة وهذا أفضل من الرضا بالنصيب!!».

لكن هل تقنع بذلك؟ حياة العزوبية وعدم الزواج وإنجاب أطفال تملأ حياتها، يا لها من حياة تعيسة!!.

تصفحت دليل الفندق لتختار مطعما، يضفى عليها البهجة؛ وإختارت معظم الأمازون بأطعمته وأطباقه البرازيلية فى أفضل أجواء محلية، وقالت ستكون فرصة سيئة لو وجدت بريت هناك!! فهو لم يدعوها على العشاء، حتى ولو فى منزله.

إرتدت فستانها المحبب لها، وذهبت إلى المطعم «الأمازون» فعلا إسما على مسمى، لم تتخيله أبداً، كان عبارة ممزقة طويلة ضيقة بها قاعد برازيلية وموائد يظللها حشائش طويلة، وأحد الجدران زجاجية حيث ينساب الماء على سطحها، ليجعل النباتات والحشائش والزهور كما فى القنوات تماماً!!

عندما إقتيدت إلى مائدة صغيرة، بالقرب من الجدا

الزجاجى، وتوقعت أن خدمتها لن تأتى بسرعة لأنها إمرأة بمفردها، وهذا ما يحدث عادة فى المطاعم البريطانية، لكنها إندهشت لسرعة مجىء الجرسونات حولها، وكانت القائمة طويلة ورغم وجود ترجمة إنجليزية وبعد محاولة للتركيز عليها طلبت منهم أن يتركوها وحدها حتى تختار.

إنصرف إثنين ويفى الثالث بجوارها وحاولت أن تتجاهل وجوده، لكنها لمحت إنعكاس ظلال على القائمة وتضايقت من سلوك الجرسون ورفعت رأسها لتفاجأ أنه بريت آدامز!! وارتعشت القائمة فى يدها، وتمنت ألا يلحظ ذلك وطوتها فى يدها، وقالت مساء الخير لم أتوقع أنك ستتناول طعاما مبكراً».

«هل هذا سبب إسراعك لتجنبى؟»

«كيف أستطيع توقع إختيارك الأمازون؟ لم نتناول أبداً عشاءنا معاً فى منزلك يا مستر.. بريت، ولم أجد مبرراً لأفرض نفسى عليك لمجرد وجودنا فى نفس الفندق».

«إذن قررت تناول عشاءك بمفردك لتوفرى على صحبتك وعناءها؟ أم غير ذلك؟»

«ياه؛ لا!! كيف تظن ذلك؟ إفترضت أن لك أصدقاء كثيرين هنا، وأردت ألا أفرض عليك وجودى».

«لم أشعر أبداً بأننى مجبر على مصاحبة إمرأة!! لكننا هنا معاً من أجل ساندى ومعك أشعر بسعادة أكثر».

أضاف «ستختار مائدة أخرى».

فى لحظة، إنتقلوا إلى مائدة أكبر؛ فى نهاية المطعم، وجاء كبير الجرسونات ليخدمهم بنفسه.

سألها بريت «هل طلبت شيئاً؟»

«كنت متحيرة فى إختيارى، ربما أنت ستختار أفضل

منى.. لا أعرف شيئاً عن المطبخ البرازيلى».

«هو خليط من المطبخ البرتغالى والهندى وغرب أفريقيا، مختلف تماماً عن بقية بلاد أمريكا الجنوبية التى تتميز بخليط طعامها الأسبانى والهندى».

«غرب إفريقيا!! هذا مدهش ورائع!!»

حتى لو تعرفين تاريخك. فى الماضى كان الأفارقة يساقون هنا عبيداً لهذه القارة، والبرازيل البلد الوحيد التى بقيت ثقافتها وتراثها الأصيل؛ ولهذا ستجدين أطباقاً عجيبة مدهشة».

«يبدو أنك مغرم بالطعام».

«الطهى أحد هواياتى».

إرتفعت حواجب إيما دهشة؛ الطهى هذا جانب خفى من شخصيته!!

غمغمت «لا أستطيع تخيلك واقفا أمام فرن ساخن!!»

«لا أفعل ذلك؛ أنا سريع فى الطهى، قانع كفء وماهر!!»

«متواضع أيضاً».

«لا أؤمن بالتواضع ولا أرى شخصا يستحقه».

أومأت «أنت على حق، أنت تطالبنا بأن نحب أنفسنا، أليس كذلك؟».

«هل نحن؟»

«طبعا»، حبك لجيرانك كما تحب لنفسك».

وإن لم تحب أنفسنا...»

تلاشى صوتها وهى ترى وجهه يتقلص وأدركت أنها أخطأت طريقها ومشت على سلك مكشوف!! لكن أين؟ واضح أن هناك بحيرة آسيانة ومنطقة حزينة لمستها بكلماتها داخله.

قالت بسرعة «يجب أن نطلب عشاءنا، وإلا سينصرف المتردوتيل عنا!!»

أبعد أفكاره السوداء بجهد جهيد وقال «هل تريدين تناول لحوم؟».

إبتسمت «تقصد أنك تريد أفضل ما فى العالم؟».

«طبعا، ولا تنزعجى من تعليقك القادم».

«ما هذا؟».

«هكذا تفعل النساء عادة!!»

وأضاف «أراك تعودين لطبيعتك القتالية يا إيما، لكننى أرفض السماح لك بمشاغبتى وأنا آكل».

تناول القائمة وقال «فاتباس رائع هنا، وهو خليط من السمك المطهى فى لبن رائب وزيت نخيل».

«يبدو ممتعاً».

«سأطلب أيضاً» ويمكننا طلب كانجا فهى حساء الدجاج نبدأ بها».

«سأطلب أيضاً»

«رائع، هل تشربين الخمر؟ رفضت لأنها تذكرت أنه لا يشرب كما قال لها بيل وقالت «أكتفى بالمياه المعدنية».

«يبدو أنك تريدين بعض الخمر، لماذا لا تعترفين؟ تخافين منى».

«بالتأكيد لا!! فقط لأننى لست واثقة أنك تريد الخمر».

«بل أستمتع بها، والخمر البرازيلى رائع»

وأنا معتاد على تذوق طعام وخمر كل بلد أسافر إليه»

«أظنك تسافر كثيراً؟»

«نعم»

«ألم تتشوق للاستقرار فى بلد واحد؟».

«أنا لا يقر لى قرار».

تذكرت قدرته على الإسترخاء شعرت أنه لا يقول الحقيقة تماماً».

وصل الطعام ليقطع حديثهما مؤقتاً؛ تذوقت الحساء الرائعة الشهية وكذلك باقى الأطباق.

بدا بريت سعيداً عندما إمتدحت الطعام. وتناولت زجاجة الخمر ونزع غطائها وهو يقول «يصدورنه إلى إنجلترا».

«أظنه فوق طاقة محفظتى»

«لكنه لن يثقل كاهل مليونيرك عندما تقابلينه»

«ما الذى يجعلك تظن ذلك»

«أليست كل الفتيات كذلك؟»

«كم هو محزن أن تفكر هكذا!!»

هز كتفيه «على الأقل المرء يعرف من الذى يلائمه».

تذكرت جرحه الدفين الذى يجعله يسخر من كل شىء لأن زوجته هجرته وتركت له طفلة، فهل هربت لأسباب مالية!!.

واصل حديثه «لو لم يكن الماء هو معيارك فما الذى تبحثين عنه فى الرجل؟».

«لست واثقة، لم أستقر بعد».

«إذن فكرى»

عقد يديه معا على المائدة وهو يرقبها.

قالت فى النهاية «شعور متبادل، أظن أن الصداقة والتفاهم ضرورية جداً»

«وليس الجنس؟»

«وهذا أيضاً، ولا أظن أن من الضرورى التحدث عن

ذلك».

«لم لا؟ العلاقة الجسدية المتوافقة هامة للزواج الناجح، بدون التكافؤ سيفشل الزواج وتذروه الرياح!!».

«أثق فى تفكيرك هذا فأنت دائماً لا ترى فى النساء سوى رغبتك!!»

«حقا، وربما أن رجل غير مناسب لمناقشة هذا معك».

«أنت الذى طرحت الموضوع للنقاش، يسعدنى ألا أتحدث فى هذا».

«وهذا هو الشىء الغريب فيك، معظم النساء اللائى عرفتهن يحبين الحديث حوله وحول أنفسهن، لكنك فتاة غامضة سرية مثل نهر سيبريا».

«أنا لا أشبه تلك الأنماط!!»

ولم أسمع عن نهر سيبريا.

«نهر متجمد يتدفق وينساب مياهه عندما تشرق الشمس».

ضحكت لمتعة حديثة.

«يجب أن تضحكى كثيراً يا إيما، فهو يظهر جمالك»

«أنا ممتنة لمديحك!! رغم نفاقة!!»

«ليس نفاقا، أنت جميلة، لم ألمح ذلك إلا ليلة مهاجمتك لى، أعنى ذلك حرفياً!!»

ارتجفت وعرفت فى حمرة الخجل.

«لا تخجلى منى»

«توقف عن مغازلتى يا بريت فأنا لا أريد أن تطردنى وبيدى طائرة إلى إنجلترا!!»

«سأختلق لك عذراً».

www.elromancia.com

«أفضل ألا تفعل ذلك، فلن يجدى، عموما، العواطف مسألة ليست وفق إرادة أحد»

«هل أنت عملية دائماً؟»

«أحاول ذلك»

«يا للشفقة».

«وصل الجرسون ومعه صينية الحلوى وتفحصتها وداعبها بريت «أظن أن الهوى يأتى دائماً بعد الفاكهة» ضحكت؛ وتواصل حديثهما حتى نهاية العشاء حتى قدمت لهم القهوة وتطرق هو بحديثه عن ساندى.

«لقد فعلت الكثير مما أشكرك عليه يا إيما لقد جعلتنى أظهر حبى لساندى وهو آخر شىء كنت أريده»

«كيف تقول ذلك وهو الذى أنقذ حياتها؟»

«لأن شقائها سيتزايد لو حدث لى شىء».

كان الكلام على طرف لسانها لتذكره أن بإمكانه الإقلاع عن السباق؛ ولكنها تذكرت إجابته السابقة، أنه رجل أسير فكرته ويجب أن تتقبل ذلك.

«أنظر يا بريت، أوافقك أن فقدانك شخص تحبه شىء مميت، لكن هو شعورك بعدم الحب. وحتى اليوم هذا كان شعور ساندى. لكنها الآن تعرف أنك تهتم بها لقد رأيت طريقة تعلقها بك وتقبيلها يدك».

«ولن أدعها تتحكم فى حياتى؛ لقد وصلت إلى قة السباقات بسبب رفض لأى ارتباط أو إلتزام عاطفى، وأود الحفاظ على ذلك».

«لا يمكن!! لقد تعهدت لساندى بذلك ولو تراجعت وتكست وعدك ربما يحدث لى شىء، ولن تسامح نفسك

أبداً».

«تمنيت لو لم أستمع إليك!!. يجب أن ابتعد عنها».

فقدت إيما أعصابها «أرفض أن تحملنى اللوم على شىء فعلته بنفسك. فأنت بنفسك الذى صممت على إحضارها للمستشفى، وحملتها طيلة الرحلة، لم يبدى شىء أفعله».

«بيدك كل شىء. جعلتى أشعر بالذنب».

«الذنب كان موجوداً فقط جعلتك تدركه».

أزاح مقعده «لنخرج من هنا، ونذهب إلى المستشفى».

تبعته صامتة، وهى مقدره سبب غضبه وهى تعرف أنه لن يتراجع عن شىء.

هذه المرة كانت هناك سيارة أخرى فى إنتظارهم؛ قادها بنفسه.

علقت «يا لها من سيارة فاخرة»

«لم أر المحرك بعد!!»

«مظهرها وشعورى بها»

«أهكذا تقيم النساء السيارات؟»

«بنفس طريقة تقيم الرجال للنساء»

«هل هوايتك التلميحات؟»

«مرة ثانية؟»

«تستمتعين بإثارتى!!».

«آسفة، لكنك كنت صريحاً»

«ليس دائماً، لكن شيئاً فى شخصيتك جعلنى أتحدث كثيراً»

سألها «أى نوع من السيارة تركبين؟»

لا أقود السيارات أبداً»

«تمزحين !!»

«أبداً، لست بحاجة لسيارة، أيسر مسافة بسيطة إلى المدرسة التى أعمل بها ولو أردت الذهاب لأى مكان هناك المواصلات العامة».

«يا لك من فتاة قانعة».

قطبت جبينها وتذكرت همومها.

«لا داعى للإبتئاس، أقصد أن أمدحك القناعة شىء نادر هذه الأيام».

«وهل أنت قانع؟»

«ما يكفينى للحفاظ على ذاتى كما هى، لسوء الحظ، معظم النساء لا يتقبلن الأمور على علاتها، يريدن تعتبر كل شىء وكل إنسان».

بإجابته أجاب على العديد من الأسئلة التى تدور بخاطرها، وبدأت تشكل صورة لمسيرة زواجه الفاشل. واضح أن زوجته كانت تكره إسلوبه فى الحياة ولقد قاوم جهودها لتغييره.

طلب منها «ألا يمكنك أن تمسكى لسانك؟ أنا فى انتظار دفاعك عن بنات جنسك»

«لا يمكننى، النساء يحبين تغيير الأشياء فعلا؛ شىء له علاقة بغريزة الأمومة على ما أظن».

«هذا عذر مقبول ولا يفسر شيئاً !!».

توقف أمام الإشارة الحمراء، ووقفت بجواره سيارة صغيرة وسقائقها الشاب إنهمك معه فى حديث حاى واصلا المسير.

سألته «على ماذا يشكرك؟»

«لا شىء، هو ميكانيكى موتورات ويتحدث عن بعض التجديدات فى الموديل».

«لكنه شكرك فعلا، أفهم بعض البرتغالى !!».

«الموتورات من تصميمنا، فالسباق يكشف مزايا وعيوب السيارات، فالسباق ليس مجرد متعة فقط كما تعلمين. نحن نجرب مدى سرعة السيارات؛ وهذا يساعدنا على تأمين السيارات».

«عندما تقول نحن أفهم أنك تقصد أنك؟»

هز رأسه «بل أقصد نحن، فريق السباق كل شخص له دوره الحيوى جداً. ولقد حققت شهرتى بفضلهم، بدونهم أنا لا شىء».

«أضن أن سيارات آدامز هى أمن سيارة على الطريق».

«نود أن تكون كذلك».

«مؤكد أن أباك فخور بك»

«وأنا فخور به، لقد بدأ شركته، ونحن نتوسع فيها الآن».

أطبق الصمت عليها وشردت إيما فى خواطرها وحمدت ربها على الوصول إلى المستشفى بهذه السرعة.

وجدوا الدكتور فيلهو فى اللوبى وتقدم ناحيتها بسرعة «أخبار سعيدة؛ يا صديقى» وهو يضع يده على كتف بريت «ساندى، ما رأيك؟ تحسنت، وذهب الخطر».

أشرق وجه بريت بالسعادة، ولمعت عيونه وأصبحت كالذهب المنصهر، ولمحت إيما الدموع التى تحاول حبسها فى مآقيها وسأله بصوت مرتعش «هل يمكننى أن أراها؟»

«ربما تكون نائمة، لكن إذهب إليها».

إتجه بريت إلى المصعد، ولم يجده، وقطع السلم عدواً.

ظلت إيما مكانها، لو كانت ساندى مكانها فالأفضل أن تتركهما وحدهما.

سألها دكتور فيلهو «هل كنت مع ساندى من فترة طويلة ؟ » .

«منذ أسابيع ، لكن حب طفلة لا يحتاج وقتاً »

« كم هى حقيقى »

ظلت تثرثر معه حتى عاد بريت وملامحه أكثر راحة مما توقعت إيما .

سأل الطبيب «متى تظن أن بإمكاننا العودة بها إلى المنزل ؟ »

«ليس بهذه السرعة !! لكننا لن نبقيها لحظة بعد أن نتأكد من تحسنها » .

نظر بريت إلى إيما «هل تريدين أن تذهبى لرؤيتها ؟ هى مستيقظة » .

«سأدعها ترتاح وأراها غداً » .

خارج المستشفى ؛ توقف بريت وتلفت حوله ، كما لو أنه يشاهد المشهد لأول مرة . ثم خطا ناحية سيارته .

لم تنتبه إيما إلا بعد أن تجاوزت السيارة الفندق ، ولكنه فسر لها «فكرت أن أخذك لمشاهدة منظر بديع فى ريو ؛ مشهد سياحى » .

ذهبوا خارج المدينة وبدأوا تسلق طريق صاعد للجبل بالسيارة ؛ كانت أضواء السيارة تشق حجب ظلام الليل حتى توقفوا على مرتفع على يمين المدينة وقال لها «ستشاهدين أفضل لو خرجت من السيارة ؛ لكن أحذرك الجو عاصف » .

لا يهمنى » .

فتح الباب وخرجت ، وعلى الفور ندمت لأن الرياح كادت تطوح بها ، وتطاير فستانها ، وتناثر شعرها حول وجهها وعادت

إلى السيارة ، لكن يدان قويتان جذبتها من خصرها وحملتها خلف صخرة تحجب الرياح .

لم يكن بريت مبالغاً عندما قال أنه مشهد نادر ورائع فالأضواء تسطع وسط بحر من الظلام ، تحتهم المدينة ، خلفهم جبل قرر السكر ، أسود فى ضوء القمر ، وعلى قمته تمثال السيد المسيح باسطا ذراعيه ليبارك المدينة تحته .

قالت بأنفاس لاهثة «منظر لا يصدق ، شكراً على إحضارك لى هنا » .

«يسعدنى ؛ لكن يجب أن تعود إلى السيارة أنت ترتعشين » .

عادوا إلى داخل السيارة حيث الدفء ، وحاولت إيما تسوية شعرها المتناثر قال لها «أتركيه هكذا ، يعجبنى وهو منثور ، يالة من لون غير مألوف ، هل هو طبيعى ؟ » .

«طبعا ! »

أمسك بشعرة بين إصبعيه «جميل جداً ؛ وكذلك أنت » .

للحظات ظلا ينظران لبعضهما ، لم تستطع معرفة لون عيونه فى الضوء الخافت وشعرت وكأن نظراته تستقر فى أعماقها وقال لها «أتمنى لو أطل انظر إليك طيلة الليل » .

وتلاقت الشفاه وقبلها وقال لها :

«قبلينى »

«لماذا ؟ »

«ربما يعجبك ذلك ، القبلة تستحق المحاولة »

وتساءلت فى سرها لماذا أتراجع وأتباعد ؟ مجرد قبلة لا معنى لها ، لن يبقى لها أثر » .

وعندما تمادى بقبلاته محاولاً تجاوز ما هو مسموح به

صاحت له «لا، يا بريت، لا!!»

«لا تعاندى، أنا بحاجة لك»

شردت بخواطرها هل يظننى من السيدات اللائى يعرفهن الرخيصات!! لقد قال أنه لا يؤمن بالحب بل الرغبة فقط!!

«يا لك من طفلة صغيرة!!»

«أنا أصغر منك بثمانى سنوات فقط!!»

«لكننى أكبر منك بكثير فى الخبرة يا عذرائى الصغيرة!!»

«كيف عرفت!!»

«من سلوكك»

«قد يكون تمثيلاً»

«فى هذه الحالة...» أعاد المقعد للوراء وأمسكت هى بالباب لتفتحه لتهبط من السيارة وصاحت «لا!!» وضحك ثم أعاد المقعد مكانه.

«هل تسخرين من خبرتى يا إيما يا عذرائى البريئة».

أدار محرك السيارة وانطلقت، وقطعا الطريق تحت ستار صمت حتى وصلوا الفندق، وهما فى طريقهما إلى المصعد، فكرت فى كل الفتيات يطاردنه، وارتعشت من الإنفعال والغيرة ونزلت من المصعد عند طابقها وإندهشت عندما سار خلفها إلى غرفتها حتى أوصلها وقال لها «طابت ليلتك يا إيما» وعاد.

وبمجرد أن أصبحت بمفردها أسرعت أمام المرآة، وقالت: آه، يا ربى، ماذا أقول هل أحببته، هل سيحبنى؟

ألقت بنفسها فوق السرير، وقالت نعم أحببته، تحبه كما هو، وبكت وهى تدفن رأسها فى الوسادة، وقالت يجب أن أعود إلى إنجلترا، كلما طالت فترة بكائها فلن تنساه بسهولة.

يجب أن تخبره فى الصباح بإحضار مربية غيرها لأنها سترحل.

وقالت لنفسها يجب ألا أصارحه بحبى، ومن حسن الحظ بمجرد أن تتحسن ساندى سيبتعد عن طريقها، ولن تتمكن من رؤيته وهو وسط عماله!!

وقالت لمن أسمح له حتى لو حاول، لن يقترب منى، لن يقبلنى بعد ذلك أبداً، وعادة لتغالب نفسها على النوم بينما غلبتها دموعها التى إنسابت أنهاراً!!.

www.elromancia.com

الفصل السادس

ليلة لا تنسى

فى الصباح خرجت لتتناول إفطارها فى مطعم الفندق؛ وبدت أصغر كثيراً، كان شعرها الكث اللامع منسدلا يلملمه شريط حريرى أبيض. ونظرت لنفسها فى مرآة المصعد وتذكرت تصرفها أمس مع بريت مثل تلميذات المدارس.

إنتهت من تناول فنجان قهوتها الثانى، وجاء بريت لينضم بها، بدا مستريحا، وجهه مشرق، عيناه لامعتان، رغم أنه لم ينم!! إبتسم «صباح الخير، نمت جيداً!»

«نعم، شكراً».

«وأنا أيضاً».

قالت بمرح زائد «ربما لأنك جعلتنى مثل مهدىء لأعصابك»

«مهدىء رائع!! أتمنى ألا أحرم منه؟».

صبت لنفسها فنجان قهوة وقالت «ألن يندهش أصدقاؤك عندما تقابلهم؟».

«لست مستعداً، وحتى ولو..» توقف مقطبا وأضاف

«وحتى لو قابلتهم، فأنا أفضل رؤيتك أنت، صحبتك تريحنى يا إيما، ولا تصيبنى بالملل».

«إذن يسعدنى العشاء معك».

بمجرد أن نطقتها ندمت لأنها نكثت عهدها مع نفسها ليلة أمس. لكن من ذا الذى يركن إلى الحكمة عندما يكون غارقا فى الحب؟

رد «أشك أننى سأذهب إلى المستشفى هذا الصباح، هناك مكالمات خارجية سأقوم بها، لكن بعد الغذاء سأكرس نفسى لك حتى تشاهدى أماكن أخرى من ريو».

«هل قررت أن تجعلنى سائحة!!»

«بل لنقل أننى لا أريدك أن تعودى شاكية من عدم رؤيتك شيء فى البرازيل»

كان يتحدث إليها بتلقائية عن عودتها إلى إنجلترا وهذا يذكر بالفارق بينهما وبين عاطفتها؛ لم تتحرك عواطفه، وهى تعيش فوق فوهة بركان.

قضت بقية اليوم فى زيارة ساندى التى ثرثرت معها قليلاً، وأسعدها أن تقرأ إيما لها. وتكررت زيارات الممرضات والأطباء لها مما أسعدها هذا الإهتمام وداعبتها إيما «عندما يحين موعد عودتك للمنزل سيكون تدليلهم لك قد أفسدك».

«متى سأعود؟».

«هذا يعتمد على دكتور فيلهو. بعد اسبوع حسب تفكيرى».

«لن يتركنى بابا ولا أنت قبل عودتى، أليس كذلك؟».

«بالتأكيد لن أتركك؛ لكن أبوك ربما يتركنا؛ تعرفين كم هو مشغول».

www.elromancia.com

«لكنه وعدنى بالبقاء معى، لو تركنى، سأعمل له فضيحة، كما كانت أمى تفعل، كانت...»

قاطعتها إيما «مهلا؛ كنت أقرأ لك قصة بقى نصفها».

إستندت الطفلة بظهرها على الوسادة، وبدت سعيدة جداً وهى تستمع لقصة: طرزان وفتاة الغابة».

حتى الثالثة لم يصل بريت؛ وجاء وهو محمل بلفافات لامعة وضعها على سرير إبنته التى سألته «هل كل هذا لى يا بابا؟»

«إن لم تكن شقيقة!!»

قهقهت ساندى وبدأت تفتح اللفافات وتعبث وتركتها لإيما، وعندما شاهدت الهدايا ضاحت فى فرح وسعادة وهى ترى الهدايا: كتب، ألعاب، أدوات رسم وكمبيوتر صغير. وتوزعت نظراتها بينها.

غمغم لإيما «هكذا هم الأطفال لا صبر لهم ولا يعرفون كيف يستمتعون بالسعادة».

قالت إيما فى سرها، يا ربى ماذا سيحدث لى؟ يا ربى لا تجعلنى أحب هذا الرجل أكثر من طاقتى على إحتماله. فلن يأتى من وراء ذلك خير. أنا لا شىء بالنسبة له، لن يحبنى.

قطع صوته خواطرها «ألغى جولة مشاهداتك لكن تأكدى من العودة للفندق لنتعشى معاً».

كما لو كانت نسيت!! وتظاهرت بهدوء لا تشعر به، قبلت جبين ساندى وخدودها.

سألها «ألن أحصل على قبلة أيضاً؟»

إبتسمت إيما ومرت أمامه؛ لكن ساندى أمسكت يدها وقالت «يجب أن تقبلى بابا، يجب!!»

كان السائق فى إنتظارها وقام بدور المرشد السياحى لها فى جولة حول المدينة الحديثة، التى يتجاوز فيها غابات الحديد والأسمنت ومنتزهات الأشجار الخضراء والأكواخ؛ وكلما تلفت المرء يرى كنيسة لكن أفخمها كنيسة ساوفرانسيسكو حيث الواجهة مزينة بنحت يدوى ومحلاة بالذهب، لكن موقع المدينة أفضل من المدينة ذاتها، الخليج المحيط بها، المحيط المترامى، والجبال المغطاة بأشجار رائعة.

لم يسعفها الوقت لمشاهدة متاحف عديدة تستمتع دائماً بمشاهدتها؛ ولكنها قررت الذهاب بدلاً من ذلك إلى حديقة النباتات وهى أفضل حديقة فى العالم، حيث تغطى أشجار النخيل مساحة مترا فيه لا يطالها البصر. والزهور المائية، بعضها طويل جداً والبناتات المائية صائدة الأسماك والفراشات.

عادت ليقودها السائق لتشاهد تمثال السيد المسيح فوق قة جبل قع السكر.

عندما وقفت أمامه، شردت فى الأرقام التى يقولها لها السائق: ارتفاع التمثال ١٢٠ قدم، كل ذراع من ذراعيه الممدودة يزن ثلاثين طناً، وزن التمثال يزيد على المائة.

كانت الشمس على وشك الغروب، وهما فى طريق العودة إلى المدينة، طلبت من السائق مشاهدة حى الفقراء حيث الأكواخ الخشبية والعشش والشوارع غير الممهدة والمياه غير النظيفة، حيث يعيش نصف سكان العاصمة ويذهبون يوميا للعمل فى أفخم الفنادق والمنازل التى يقمن بخدمتها؛ وفى نهاية كل ليلة يعودون إلى جحور الفقر.

وهى عائدة إلى الفندق ظلت منزعجة مما شاهدته من بؤس وفقر. وبدا له الفندق بفخامته مثل سائح وسط فقراء!! يا له

من عالم ملىء بالمشاكل ويجب تسويتها وإلا إنفجرت براكين الغضب.

تلاشت همومها الداخلية بجوار ما شاهدته من تناقض بين الغنى والثراء الفاحش والفقر والبؤس الفظيع.

وتحيرت فى مستقبلها كيف سيكون؟ وقالت لماذا لا أتمتع بلحظتى الراهنة وألا أزعج نفسى بالتفكير في الغد؟.

كانت تستعد للنزول لمقابلة بريت عندما جاء أحد الصبية بباقة ورد الليلاك دى الرائحة النفاذة، وعلقت وردة، وعندما لمحها بريت لمعت عيونه مما أرضاها كثيراً وإبتسمت له بثقة وسألته:

«أفترض أنك تفهم لغة الزهور؟»

«تستخدمين ذكائك!! أشعر الآن بمعنى البنفسج الوسيط بين عنف الليلاك وشجن الزهور!!»

أخذها إلى مطعم على الشاطىء بعيداً عن العاصمة ريو بأميال قليلة، وعندما دخلوا المطعم تعرف عليه كثيرون، وجاء المتردوتيل ليقودهم إلى مائدة فى أفضل موقع يطل على الساحل؛ وحياهم بزجاجة شمبانيا كهدية من المطعم.

أزعجها أنهم محط الأنظار الجميع، ولمح بريت إضطرابها وقال «ربما كان يجب أن تذهب إلى مكان أكثر بعداً».

«لا يهم، أينما سنذهب سيتعرف عليك الناس؛ واضح أن أبطال السباقات والخيول لهم شهرة عالمية!!»

«شكراً؛ لقد أدرت رأسى بالغرور!!»

ضحكت «آسفة» وهما فى منتصف وجبتهم، التى إختارها بريت، جذبها ناحية صالة الرقص، واضطربت لقلقها من العيون التى تراقبها حولهم وإعتذرت له «لست مضادة على

أن أكون تحت رقابة كل تلك العيون».

«إنسى وركزى معى».

بدأت تدريجيا تشعر بالإسترخاء وهمس لها «هذا أفضل، تجيدين الرقص»

«تحاول إثارتى مرة ثانية!!»

«هل يغضبك كلامى!!»

«لماذا يدهشك؟ أنت رجل مشهور يا بريت العالم كله تحت قدميك، والفتيات على جانبيك!!»

«أخ!! تستمتعين بذلك!!»

«لا تقل أننى جرحتك!!»

«بل أدميت قلبى».

«آسفة؛ لكن.. أنا مضطربة الآن».

جذبها ناحية الڤرانده وجلست إيما على مقعد وأغمضت عيونها ونصحها «تنفسى ببطء وعمق واضح أن الشمبانيا تؤثر عليك».

«ربما لأننى لم أتناول أى طعام، لم أتناول غذائى».

«لماذا؟»

«لم تكن ساندى تريدنى أن أتركها».

«لم تكن ساندى تريدنى أن أتركها».

«يجب ألا تدعى ساندى تستحوذ عليك»

«هى لا تفعل ذلك، لكنها مازالت مريضة ولم أرد أغضابها وتركها من أجل الغذاء».

«تحبينها؛ أليس كذلك؟»

«أحب الأطفال عموماً»

«والكبار؟»

«بعضهم، بوجه عام لا يستحقون الحب».

«وهل أنا كذلك؟»

«عندما تثير المتاعب».

«أريد المزيد من المتاعب معك» وقف قائلا: «هيا لننتهى من العشاء».

علق قائلاً وهما يشربان القهوة «يدهشنى أن فتاة جميلة مثلك لم تتزوج».

«عمرى ثلاثة وعشرين فقط، أريد عمل الكثير قبل أن أقبل نفسى».

«لقد تزوجت وعمرى واحد وعشرين عاماً».

«هذا عمر صغير بالنسبة للرجل».

«أى عمر هو صغير بالنسبة للرجل!! خصوصاً فى مهنتى».

«لماذا؟».

«لأنها حياة مكدرة للزوجة خصوصاً عندما تنجب أطفال، حيث يجب أن تتركهم خلف ظهرها لو أرادت أن تكون بجوار زوجها».

«لكن السباق لا يشغل كل وقتك، أليس كذلك؟»

«تستغرق ستة أشهر، ربما أكثر وحتى ولو إختارت الزوجة البقاء فى المنزل ستظل تحت زوجها على تغيير مهنته».

سألته «كم من الزوجات نجحن؟»

«مجرد نسبة ضئيلة»

يمكنها تصديقه، لأن السباق وتستحوذ على من يمارسه ومن الصعب الإقلاع عنه.

سألها بريت «لكن لماذا تتحدث عن السباق؟ أفضل

التحدث عنك».

إحتجت «لن تستمتع، يالك من رجل متعدد المزاج ومتقلب».

«لن يوافقك كتاب السباقات يطلقون على آدامز الآلى!!»

«ليس كثيراً»

«إذن لا تستغفلنى نفسك، أنا فظ جداً يا إيما، لا تنسى ذلك».

«فعلا، نسجن وتكتم عواطفك أدركت ذلك الآن، لكن ساندى هى التى فتحت مغاليق عاطفتك»

«سأعيد إغلاقها»

«مشاعرك نحو ساندى لن تسمح لك»

هز رأسه «لو استطعت التمسك بزوجتى إيلين، لأستطعت فعل نفس الشىء مع إبنتى».

«تمسكها بحزم؟»

«أفعل ما أريده، لقد أحالت إيلين حياتى إلى جحيم بسبب السباق».

«هذا مختلف، لأنك لم ترد أن تقلع عن السباق من أجلها، يمكننى أن أفهم ذلك».

«يمكنك أن تفهمى؟»

«بالتأكيد، على الأقل كانت تعرف مهنتك قبل الزواج!!».

«ماذا تعنين؟ ألا تعرفين أن بنات جنسك متشابهات يا إيما؟ المرأة تحب أن تأخذ الرجل على علاته وتنصب نفسها إستاذه عليه، وبمجرد أن تصبح زوجته تقرر تغييره!!».

تحيرت إيما من نفسها وتساءلت هل كنت سأفعل نفس الشيء لو تزوجت بريت، أم كانت سترضى بتكريسه لحياته للسباقات. ولم تصل الإجابة !!

عادوا فى صمت ؛ وأشار إليها «أنت فى غاية الهدوء».

«أنت لا تحب الثرثرة».

«هذا لا يوقف المرأة غالباً من الثرثرة».

«بريت البائس، يبدو أنك غير محظوظ فى فتياتك اللائى إعتدت مقابلتهن».

«هل أنت أذكى منهن !!».

«أذكى ؟».

«فى التظاهر».

ذهلت لتعليقه «سأخاطر بتكرار كلامى وأقول أنك مخطىء فى تقييمك للأشخاص».

«آسف، يجب ألا أسخر منك !!»

دخلوا الفندق وتركوا السيارة لأحد العمال وأبلغها بريت «ربما سأعود إلى مورتولا لعدة أيام، لكننى سأرجع لأعود بساندى للمنزل».

«ستغضب لرحيلك».

«وأنت ؟»

«أنت لم ترحل بعد».

«يا لها من إجابة غامضة محيرة».

«طبعا سأفتقدك»

«وأنا أيضاً».

قدمت موظفة الاستقبال رسالة لهما، وقرأها «بيل يريدنى أن أتصل به، لا أدرى لماذا ؟ لقد تحدثت معه منذ

ساعات ؟».

«ربما سياراتك تفتقدك !!»

هبطت عند طابقها وناداها «دائماً تهربين».

فكرت وهى تصل غرفتها، الليلة وقت مسروق من العمر، لا تنساها طيلة حياتها لكن ليلة واحدة تكفى.

لكن بالنسبة كان العكس تماماً، ويجب أن توضح له عدم رغبتها فى مقابلته.

رغم جاذبيته لها، لكنه أحق وستكون أحق منه لو إنتظرت منه المزيد، فهى لا تعنى له أكثر من كونها شخصية مسلية عابرة.

حقاً ؛ من السهل عليها تقبل أى شيء لكن أن تقع فى فخاخه أسيرة حبه بين مخالبه، هذا مالا تطيقه.

الفصل السابع

الخطوبة

عندما رأته إيما فى اليوم التالى أدركت أنه هناك شىء قد حدث، كانت عيونه مرهقة، أكثر اصفراراً من لونها البنى، ربما ما أخبره به بيل ليلة أمس كان خبراً محزناً؛ وعندما إنتحى بها جانبا فى الشرفة قال لها:

«أسرة إيلين أبوها وأمها وشقيقتها هنا فى ريو، حاولوا الاتصال بى فى مورتولا ليلة أمس وهذا سبب إتصال بيل؛ ليبلغن أين هم؟».

«من حسن حظك أنك موجود».

صحح لها «حظ سىء، أنا لا أرتاح لهم أبداً».

«ألم تتصل بهم حتى الآن؟».

«نعم، أظنهم ينتهزون وجودهم لقضاء عطلتهم لرؤية ساندى أيضاً» وقلدهم بصوت مبحوح «حفيدتنا الغالية!!» منذ وفاة إيلين يحاول أخذ ساندى لتعيش معهم».

منذ يومين خطرت لها الفكرة فهذا أفضل بديل من إدخلها مدرسة داخلية.

«لو قرأت ملامحك كما هى، إذن الإجابة هى لا، لن يحدث».

«لم لا؟».

«لأن المبرر الوحيد لرغبتهم هو إستخدامها كوسيلة للتعيش من ورائها بإبتزازى».

«لا أوافقك».

«أنت فى منتهى البراءة!! لو حدث لى شىء ساندى هى الوريثة الوحيدة لى، ولذا ستوضع تحت وصاية من يرعاها مهما كان ولهذا يريد أصهارى أخذهم عندهم».

«لكن لو أى شىء.. أقصد» توقفت إيما..

«لو حدث لى شىء ستظل إيما فى المدرسة الداخلية وتقضى أجازتها مع أبى».

«ألست قاسيا مع جدها لأمها؟ فهم عائلتها فى النهاية و...».

قاطعها غاضبا «والدم لن يصبح ماء!! ان كانت هذا ما تقصدين، لا جدوى للمناقشة».

ردت إيما «أنت تحاور نفسك وليست هذه مناقشة، على الأقل تظهر كراهيتك لأهل زوجتك».

«ستكونين رأيك بنفسك خلال نصف ساعة. عندما يخبرهم بيل بمكانى، سيجيئون للإقامة هنا من اليوم».

«هل يعرفون أن ساندى مريضة؟».

«آخبرهم بيل بذلك أيضاً».

حزنت إيما لأنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه. بصرف النظر عن كراهيته لهم؛ فن حقهم أن يعرفوا.

قال لها متحفظاً «لا تحكمى على كلامى حتى تقابلينهم لو

ظللت متمسكة برأيك أننى قاسى، لا أشك أنك ستقولين ذلك صراحة !! ».

عادت إيما إلى غرفتها.

جاء آل بروكتورز، بدا بريت ساخراً مشمئزاً وأدركت إيما أن كراهيته لهم أعمق بكثير من رغبتهم أخذ ساندى بحوزتهم ؛ فهل كراهيته لهم بسبب تألمه من زواجه الفاشل ؟ الألم الذى تزايدت مرارته داخله بعد وفاة زوجته ؟ كم تتمنى إيما أن تعرف الحكاية بتفاصيلها كاملة !!.

إتصل بها بريت يطلب منها الإنضمام له فى الشرفة العلوية.

ذهبت وهى مضطربة لمقابلة أصهاره، ولمحتهم حول مائدة بجوار حمام السباحة، وتعرفت على الرجل العجوز وزوجته بملابسهم الأنيقة وإندهشت ذاهلة من جمال إبنتهم الصغيرة الشقراء كأنها نسخة من شقيقتها الراحلة.

قام بالتعارف ؛ وجذب مقعدا لإيما لتجلس بجواره. وعندما أحضر الجرسون القهوة، ولم يحاول بريت صبها، وكذلك أصهاره، إضطرت إيما للقيام بواجب الضيافة. وتضايقت من سلوكه غير الكريم ورمقته بنظرة حادة.

واصلت حماته حديثها « مازلت أعتقد بضرورة أن تعيش ساندى معنا بمجرد أن تتحسن صحتها »

رد بريت ببرود « لا أوافقك ؛ فهى سعيدة جداً معى فى ميرتولا ».

واصل حماه حديثه وهو يشبه زوجته بقامته المديدة النحيلة وكأن شقيقها « طالما كنت موجوداً معها، لكن كيف تكون سعيدة عندما ترحل بعيداً وتتركها فى رعاية غرباء ؟ ».

رد بريت « هى لا تعتبر إيما غريبة عنها » وعلى الفور تركت عيون الثلاثة عليها.

وجهت حماته سؤالها إلى إيما « ألا تعتقدين أنها ستكون أكثر سعادة فى مناخ أكثر حرارة ودفئاً ؟ ».

« يبدو أنها تنتعش وتزدهر فى مناخ حار ».

« لكن هذا هو فصل الشتاء البرازيلى، لكن الصيف عندهم لا يحتمل ».

رد بريت « ولهذا سأدخلها مدرسة داخلية فى إنجلترا ».

« هى صغيرة جدا على المدرسة الداخلية، لو أردت ألا تتولى مسئوليتها بنفسك، فلماذا لا تتركها تعيش معنا ؟ لا أفهم سبب قسوتك معنا. هى حفيدتنا الوحيدة التى نحبها ».

لم يقل بريت شيئاً، وعندما طالت فترة الصمت إقتربت إيما من إبنتهم الصغيرة ولم تجدها جميلة كما لمحتها عن بعد، عيونها ضيقة، ولا تستقر نظراتها !!

سألتها « هل هذه زيارتك الأولى للبرازيل ؟ »

« جئت هنا منذ ثلاثة أعوام عندما كانت إيلين على قيد الحياة ».

« إذن تعرفين ميرتولا ».

« ماذا عنها ؛ ألم تصابى بالملل القاتل هنا ؟ »

« آه، لا، أحبها. المناظر جميلة هنا »

« هكذا فى فهى تشبه المستنقعات ولا يمكن أن يتحمل أى دفء الحديث « وإلى متى ستبقين هنا ؟ ».

« لست واثقة، ربما شهراً ».

لمحت إيما بريت يتابع الحوار وبنظرة إلى الفتاة نظرة باردة وقال لها « طالما تكرهين مورتولا هكذا، لن أدعوكم لزيارتها !!

المشاهد هنا فى ريو أجل».

تدخلت حماته «لسنا هنا لقضاء أجازة، كما تعرف؛ جئنا فقط لرؤية ساندى. لم أصدق عندما أبلغنى بيل كم هى مريضة، وأنك لم تتمكن من إبلاغنا».

«لقد مرضت منذ يومين فقط ولم يكن هناك مبرر لإزعاجكم وأنتم فى أقصى الدنيا بعيدين عنا؛ بالإضافة ليس هناك ما يمكنكم القيام به».

«كان بإمكاننا المجىء بأسرع ما يمكن، لمجرد أن نكون بجوارها!! فعلا، يا بريت، أحيانا تكون بلا قلب، ألا تفهم أن ساندى هى الوحيدة التى بقيت لنا من إيلين؟» مسحت السيدة عيونها بمنديلها «مازلت لا أصدق أن إيلين ماتت. كانت شابة متدفقة الحيوية ولو أظهرت تفاهماً أكثر معها، لكانت..»

«لا أود أن أناقش حياتى الزوجية!!» وضع فنجانه بعنف على المائدة «نبش الماضى لن يفيد أحد! ولو كانت رؤيتكم لى تجسد لكم ذكريات مؤلمة؛ فالأفضل لكم أن تبتعدوا عنى «وأزاح مقعده إلى الوراء ووقف «لو أردتم رؤية ساندى، الأفضل أن تذهب الآن؛ وبالمناسبة هى تتعب بسرعة وتنام كثيراً».

وقفت حماته السيدة بروكتور «لن نبقى بجوارها أكثر من دقائق قليلة» لم تكن السيدة طويلة جدا، بل رشيقة أنيقة وأضافت قائلة لإبنتها «الأفضل أن تأتى معنا اليوم يا ديانا».

هزت ديانا كتفيها «وهو كذلك» وإنصرف الجميع ولم يطلب بريت من إيما الذهاب معهم.

وفكرت بأسى يا له من رجل!! هل يتوقع منى البقاء لتسلية أخت زوجته الراحلة؟ لكنها أبعدت الفكرة عن ذهنها،

لأن ديانا بروكتور النحيلة الأنيقة مثل أمها تبدو أكثر من متمكنة للإهتمام بنفسها.

سألتها ديانا «منذ متى وأنت مع بريت؟»

«سبعة أسابيع».

«هذه فترة كافية لتصبح شهر عسل فى حياة بريت!!».

لم تدرك إيما غمزها مباشرة وعندما فهمت غمزات ولمزات ديانا لم تسيطر على أعصابها.

«أنا مربية ساندى، كما سمعت تماما، وسأرعاها حتى دخولها المدرسة فى إنجلترا».

«لا يبدو عليك أنك مربية».

«أنا مدرسة فى مدرسة حضانة، وأخذت أجازة ستة أشهر».

«أتذكر أن ساندى طفلة شقيقة عنيدة»

«وجدتها فى منتهى السهولة»

دافعت إيما عن ساندى كأسد يدافع عن عرينه، وهزت ديانا كتفيها مرة ثانية وأشارت للجرسون ليقدم لها المزيد من القهوة. وعندم حاولت إيما أن تنصرف، أمسكتها يد ديانا الصغيرة «لا تنصرفى، أكره الجلوس بمفردى»

«لا أظن أن هناك شىء ك يمكن أن نتبادل الحديث حوله».

«آه يا عزيزتى، هل تضايقت لأننى ظننتك آخر رفيقات بريت. لم أقصد أن أكون وقحة بل ببساطة لأنك فتاة رقيقة وإفترضت... حسنا؛ أنا واثقة أنك تعرفينة إسلوب حياة بريت جيداً، وهذا هو السبب فى إعتقاد البعض أن أى فتاة فى منزله جزء من حياته».

ردت إيما بجفاء «منزل السيد آدامز متحفظ جداً».

«ما دخل هذا بحديثى !! دائماً هو غير موجود فى منزله ومن النادر أن تراه ساندى. كان كذلك عندما كانت إيلين على قيد الحياة وأعرف أنه لم يتغير».

أكدت لها إيما وفى ذهنها الفترة الحاضرة «هو أب فى منتهى الحنان والرعاية لإبنته !!»

«دعك من هذا !! هو رجل وسيم ساقل لا يهتم إلا بنفسه» توقفت وتنهدت بأسى «عندى الجرأة لأقول ما كان ينبغى أن أتحدث معك بهذا الأسلوب، لكن كيف يكون شعورك تجاه رجل تسبب فى موت شقيقتك ؟».

إرتعشت يد إيما وعلى الفور شبكت يديها معاً «أفضل عدم التحدث عن مخدومى إن لم يضايقك».

واصلت ديانا حديثها «لقد تسبب فى موتها كما تعرفين، ما كانت لتموت لو كان زوجاً محترماً ولهذا نريد أن تعيش ساندى معنا لنبعدها عن تأثيره».

«لو قالت ديانا هذا منذ عدة أيام ربما صدقتها إيما، لكن الآن، بعد أن رأت بريت يهدهد الطفلة بين ذراعية، فهى لا تطيق سماع هذه المزاعم.

ورغم أنه سيدخلها مدرسة داخلية، ليس لأنه لا يحبها، بل لأنه يحب السباق متعته الكبرى فى الحياة.

واصلت ديانا حديث مزاعمها «أعرف أن بريت غاضب منا لأننا جئنا هنا، لأنه مازال مذعوراً من إحتمال فضحنا له، ولن يصبح صورته العامة محببة لو عرف الناس أنه قاتل !!».

إنفجرت إيما «فعلا لا أطيق سماع هذا !!»

«لكن ستسمعين لو كنت تهتمين بساندى وسلامتها، لقد

قتل إيلين بالتأكيد كما لو أنه هو الذى حطم الطائرة التى أقلعت بها»

«هذا شىء فظيع !!»

«لكنه حقيقى. بمجرد أن إقتنعت إيلين أنه لا يهتم بها، بل يكرهها فى الواقع، تأكدت أنها لا تطيق الحياة معه» إمتلأت عيونها بالدموع «أنت لم تعرفين أختى أبداً لذا لن تفهمين كيف كانت، كانت رائعة الجمال متدفقة الحيوية، عندما تدخل أى مكان يشع كل شىء بالحياة. ولهذا وقع بريت منبهراً بها طبعاً، من أول لقاء».

كانت كل كلمة خنجراً ينغرس فى قلب إيما، وجاهدت لتقاوم ألمها، إيلين ماتت ولا يصح أن تغار منها.

همست «أفضل أة تقولى شيئاً»

إستطردت ديانا «أتذكر إيلين تسير متخبطة، لقد صدمها، كان ذلك عندما هجرها بريت أو مرة. يا ربى، إعتقدنا إنها ستقتل نفسها !»

«لكن.. ألم تهجره أختك ؟».

«هذا بعد ذلك بأعوام، بعد زواجهم إسترجع ما حدث بعد خطوبتهم، فجأة قرر بريت أنه لم يعد يحبها ؛ وهجرها».

«لا جريمة فى ذلك».

«عندما ينتظر خطيبك طفلاً منك ؟»

لم تخفى إيما صدمتها ؛ أن تعيش مع شخص ثم تهجره هذا أمر، أما هجرها وهى حامل هذا أمر مختلف !!.

«لكنهم تزوجوا فى النهاية»

«كان مضطراً لذلك وإلا حدثت له فضيحة إعلامية. فى البداية طلب من إيلين أن تجهض نفسها ؛ وعندما رفضت عرض

عليها مبلغ ضخم لتبتعد عنه بهدوء وتتركه لشأنه، وعندما تدخل الوالدين وهدده أبى بفضحه وافق على الزواج».

أوضح لها كلام ديانا جانبا جديداً من زواج بريت، ورغم ذلك خفف من مشاعر غيرتها لأنه لم يكن يحب إيلين، لكن كلامها أظهره فى صوره بغيضة. طبعا، ربما كان يريد مجرد علاقة عابرة؛ بينما تعمدت إيلين أن تحمل منه لتجبره على زواجها، وعلى أى حال لالوم عليها معاً.

واصلت ديانا بروكتور حديثها «كنت أعتقد أن أختى تزوجته تحت تأثير فكرتها، أنه بمجرد ميلاد الطفلة سيستقر ويهدأ. كم هو مضحك!! لكنه إستمر كأنه شيئاً لم يحدث؛ وكأنه لم يتزوج يتركها وحدها لأسابيع، وحتى عندما يكون فى المنزل، لا يهتم ولا يلتفت إلى أو إلى الطفلة».

غاص قلب إيما وتساءلت ماذا بمقدورها أن تقول؟.

«شقيقتك توفت يا آنسة بروكتور ونبش الماضى لن يفيد أحد».

«فقط يذكرنا بمواصلة الصراع من أجل ساندى»

«لكنه يحبها!! كان بائسا هلوعاً عندما مرضت».

«شعور بالذنب!!».

«أيا ما كان السبب، هو...»

إنفجرت ديانا «يعرف كم كانت إيلين تكره سباقاته رغم أنه لم يقلع عنها، وبصراحة أظن أنه تعمد إيذائها وجعلها تعانى، وبالتالى، طبعا، لم تطيق العذاب وهجرته».

«لكنها تركت طفلتها أيضاً».

دافعت ديانا عن أختها «يأساً ومللاً، كانت تظن أنها لو أجبرته على رعاية الطفلة ربما تعيد له عقله؛ لكن ذلك لم يغير

من إسلوب حياته؛ مازال..».

«من فضلك يا آنسة بروكتور، لا أريد التدخل فى خلافاتكم العائلية مع السيد آدامز. والآن لو تسمحين لى...»

وقفت إيما وسارت بعيداً ببطء حتى خرجت من الفندق.

كانت أعصابها مشتعلة، وقطعت إيما مسافة ربع ميل ثم توقفت تتطلع وتشاهد المنظر المحيط بها، الرمل الأبيض، مياه البحر الزرقاء والسماء الصافية، والجو الحار، وقالت من الجنون المشى فى هذا الحر!!.

وهى تواصل خطواتها تمنت لو نست كل ما قالته ديانا، ومزاعم إتهاماتها ضد بريت التى لا يمكن تجاهلها، فهى تستطيع تخيل إيلين جالسة وحيدة طيلة الليل، ليلة إثر أخرى، بينما بريت يستمتع بسهراته مع أصدقاءه. هذه هى الحياة التى يتمتع بها؛ ورغم أنه متحفظ طيلة الأيام القليلة الماضية فن الحماقة ألا تفهم أنها ليست أكثر من سلوك أب قلق على طفلته.

عندما عادت إلى الفندق وصافح الهواء البادر وجهها، وإتجهت إلى اللوبى لتشاهد المجلات.. كلها غالية جداً، لتلائم المكان الفخم، وليست فى متناول قدرة فتاة عاملة. لكنها أمتعت عيونها بمشاهدة ملابس جميلة، ومجوهرات ثمينة فى محلات المجوهرات.

سمعت صوتا رجاليا يهمس خلفها «حسنا، حسنا إذن أنت إمرأة طبيعية فى النهاية!!»

ذعرت وإستدارت لترى بريت ويده فى جيبت الجاكت والأخرى تحمل لفافة صغيرة.

تساءلت «طبيعية؟»

«تنظرين بإنبهار إلى المجوهرات!! لم أتوقع ذلك من مربية

شابة لا تدخن، لا تشرب مشروبات روحية أو تقود سيارة !! »

« ما هذه الأشياء السخيفة التى تقولها !! »

سألها بلطف « هل أثارت ديانا أعصابك ؟ »

ردت إيما « بإمكانها أن تثير الموتى !! »

وضحك بريت « آسف لتركك لها تحت رحمتها » .

« أنت لم تعر ذلك أدنى إنتباه !! »

« فعلا أنت على حق ، آسف »

هزت كتفيه « لقد جئت إلى ريو بصحبة ساندى وأشعر أننى لا أؤدى واجبى لو.. »

« هراء !! هى تحظى بكل ما تحتاجه من رعاية ولو كنت قلقلة متلهفة على رعاية أى شخص إنتبهى لى !! » وأدار اللفافة بيده « لماذا الكدر فى هذه العيون الجميلة ؟ هذا لون السحب الرعدية العاصفة » .

« لا تثرنى أو تسخر منى يا سيد آدامز »

« مستر آدامز ، أهكذا ، إم م ، لقد ثرثرت ديانا !! » .

« بالتأكيد تتوقع ذلك ؟ » .

« نعم . لكننى لم أتوقع منك الإلتفات لحديثها !! » .

خجلت إما فهى تدرك أن إنتقاده لها له ما يبرره ؛ ففى النهاية ؛ فهو مخدومها وهى مدينة له بقدر من الولاء ، بما يكفى تجنبيه أى شكوك .

مع ذلك فهو لم يحدثها عن زواجه . ولا يعنى ذلك أن ديانا قالت الحقيقة . حقاً ، واضح أن الفتاة متحاملة ولذا يجب أن تأخذ كلامها بحذر شديد » .

« إنسى ذلك ؛ هيا نشرب القهوة ، هل ستجئين معى ؛ أريد أن أتحدث معك » .

تحيرت ماذا يدور بذهنه ، وسارت معه إلى المقهى المطل على حديقة ظليلة حيث المقاعد والموائد .

سألها « هل تحبين الجلوس خارج المقهى ؟ »

« الجو بارد داخله » .

أومأ وجلس أمامها وقال « آل بروكتور يريدون ساندى كما تعرفين ، وعندما أدخل السباق يمكنهم أخذها » .

ردت إيما « ألست متشائماً بلا داعى ؟ »

« أدهشنى سؤالك !! » .

« أنت المدهش ؛ فى هذا الصباح أعطيتنى إنطباعاً بأن مستقبل ساندى مضمون ومكفول » .

« كان تفكيرى هكذا حتى مجىء أهل زوجتى هذا الصباح . وأوضحوا لى أنه فى حال حدوث شىء لى سيطالبون بالوصاية عليها ورعايتها وأظنهم سينجحون ، والدى مسن ولا يمكنهم رعايتها ومازال شقيقى عازبا » .

« يمكنك إعتزال السباق »

« ربما .. عندما أقابل المرأة المناسبة »

كانت هذه هى الكلمات التى تتوق لسماعها رغم أن ملامحه ولهجته لها أنه لا يعنى ما يقول .

ردت بدلال « لا أرى أبداً أنك قد تقنع بإمرأة واحدة » .

« ألا تعتقدين أن النمر قد يغير جلده ؟ » .

« حتى لو مزقه سيظل نمراً !! »

« يا للأسى على كلامك هذا ، تجعلين من الصعب أن أقول ما خططت له . لكننى سأقول عموماً » وضع اللفافة على المائدة « هل تقبلين الزواج منى يا إيما ؟ » .

حدقت فيه بشرود ، هل هذه نكتة ؟ لكن عيونه جادة ،

تؤكد أنه جاد فى طلبه.

«لماذا.. لماذا تريد أن تتزوجنى؟»

«ماذا تظنين؟»

لمعت فى ذهنها فكرة أنه يحبها، لكنها أبعدتها، وعادت إلى المنطق البارد.

«بسبب آل بروكتور على ما أظن، لو كنت زوجتك.. حسنا، سأكون الوصية الشرعية على ساندى».

رد ببطء «هذا صحيح تماما».

كانت تتوقع منه هذا؛ دفعتها كرامتها لإخفاء مشاعر الألم «لكن لماذا أنا؟ أنت تعرف كثيرات»

«فعلا. لكنك تربين وتهتمين بساندى وأعرف عمق وقوة ارتباطها بك. حسنا، يا إيما، ما رأيك؟ أم تجدين أنها فكرة لا تستحق إهتمامك بها؟».

«ليست هكذا يا بريت، بل غير مفهومة، أعرف أنك لم تكن سعيدا مع زوجتك الراحلة وا...» توقفت خجلاً.

رد بريت «لا تنزعجى، أعرف أن ديانا لن تتورع عن ملأ رأسك بكل التفاصيل المملة، وأؤكد لك أن طريقة معاملتى لإيلين مختلفة تماما عما صورته لك».

«فعلا قالت؛ لكن حتى لو كان معظم ماقالته غير صحيح؛ مازلت ترى الزواج وكأنه فسخ أو قفص، أليس كذلك؟»

«نعم، لكن بالنسبة لك الأمر مختلف»

«لأننى لا أحبك، وتعرف أننى لن أثقل كاهلك بمطالبى؟».

«هذه خلاصة الكلام، إذن ما رأيك؟ معظم الفتيات

يتمنين تلك الفرصة كما تعرفين».

«لست منهن».

«وهذا سبب طلبى يدك للزواج»

«وهو سبب ردى بالرفض، لا أستطيع أن أربط نفسى برجل يعتبر الزواج كأنه بوليصة تأمين ضد الوفاة!! لو كنت تهتم بساندى ومستقبلها يجب أن تبدأ بالتفكير فى مستقبلك».

إنفجر غاضبا «كفى وعظاً» وقبل أن ترد وقف وخطا مبتعداً.

أذهلها رحيله المفاجىء، وأسرعت خلفه كان اللوبى مزدحما، سارت خلفه حتى لمحته يخرج من الفندق ويعبر الشارع، سمعت صوت ارتطام وبعيون مرعوبة رأت الحادث وأسرعت لتجد زحاماً حاولت أن تشق طريقها وصاحت «من فضلكم.. دعونى أمر؛ يجب أن آراه.. من فضلكم».

سمعت صوتاً قويا «بحق السماء يا إيما!! لا شىء يمكنك أن تفعليه» ورفعتها يدا قوية من وسط الزحام، وحيرت نفسها على الطوار تحدق فى وجه بريت، إرتاحت لرؤيته سليما لم يصب بسوء وهمست «أنت بخير؛ ظننتك قد أصبت».

«فقط بك!! جيئت لتحثين عنى بعد أن صدمتنى هناك».

«رأيتك تعبر الشارع ثم سمعت صوت الإرتطام و....».

إرتجف جسدها وعجزها عن منع ذلك، وألقت برأسها فوق صدره؛ وسمعت دقات قلبه وقالت لنفسها لا يهم ما قاله؛ المهم أننى أحبه وقالت له همساً:

«سأتزوجك».

سألها «لأنك ظننت أننى قتلت ولم تحملى فكرة أن تعيش

ساندى مع آل بروكتور؟».

ردت كذبا وهى تبتعد عنه «تقريبا كذلك عموما، لن يكون للأبد، أليس كذلك؟ عندما تعتزل السباق لن تصبح بحاجة لى كبوليصة تأمين وساكون جرة أن..» تلاشى صوتها وابتعدت وأخذت طريقها إلى الفندق.

سار بجوارها وقال «يسعدنى أنك ترين الأمور بعقلانية ومنطقية، عندما أستقر فى عملى الإدارى إن آجلاً أو عاجلاً ستحصلين على حريتك بأسرع مما تتوقعين» وضع صده على كتفها «هل يمكننا تناول القهوة؟»

«أفضل الذهاب لرؤية ساندى».

«وهو كذلك؛ إذن سأراك فى المساء، أخشى أننا سنتناول العشاء مع آل بروكتور».

«ياه، يا ربى!! ستظننى ديانا أننى بوجهين وخبيثة لأننى لم أذكر لها أننى مخطوبة لك!!».

«طالما أنا واثق أنها تنهش لحمى وتغتابنى كلما أدرت ظهرى، يمكنك أن تزعمى لها أنك لم تجدين الفرصة لإبلاغها!!».

لأن هذا هو ما حدث بالضبط لم تمنع إيما نفسها من الإبتسام، وظل بريت مشرقاً مرحاً بقية اليوم. وكانت تريد أن تسأله متى سيخبر ساندى أنهما سيتزوجان، وهى متأكدة أن الطفلة ستفرح جداً؛ وهذا يسعد إيما أيضاً.

هناك الكثير الذى يمكن أن يقال عن آل بروكتور، الذين أخبرهم بريت بزواجه المقبل وهم يجلسون فى البار الخارجى،

سألته السيدة بروكتور «هل ستتزوج؟ لكنك لم تقل كلمة واحدة عن هذا فى الصباح!!»

«لم يكن ملائماً».

تحدث بريت بلهجة لطيفة لأصهاره، لهجة لم تعتادها إيما منه. واضح، أنه يتلطف معهم لإدراكه أن زواجه سيبعدهم عن ساندى، ولمحت إندهاشهم، وأدركت أنهم إناس غير لطفاء المعشر؛ ومع ذلك لا يستحقون كراهية بريت، وتحيرت إن كان ذلك بسبب شعوره أنهم يحملونه اللوم على وفاة إبنتهم.

قالت ديانا بروكتور هامسة للإيما:

«مؤكد أنك استمتعت فعلا بحديثى فى الصباح».

ردت إيما ببرود «ليس أكثر منك، كنت تغتابين بريت بسعادة، ولذا تركتك تستمتعين بذلك!!».

«أنا لا أتراجع عن كل كلمة قلتها. هو سافل خبيث؛ وستعرفين ذلك بنفسك».

جاء الجرسون بالشمبانيا، وغضبت لأن بريت طلبها؛ فمن الصعب توقع مشاركة آل بروكتور الإحتفال بإحلال زوجة أخرى محل إبنتهم؛ خصوصا أن ذلك يبدو أمالهم فى أخذ حفيدتهم لتعيش معهم».

شعرت بالأسى الشديد من أجلهم، وتحيرت فى معرفة الحقيقة فى ضوء كلام ديانا، ورأى بريت فى أصهاره!! كم هو صعب إكتشاف الحقيقة وأنت تحت رحمة عاطفة قوية وليس أمامك سوى خيوط متناثرة من المعلومات من الطرفين.

قال بريت «فى صحة المستقبل» تناولت إيما كأسها وشربته.

وأقلقها أنها محط أنظار أهل إيلينا تلك الجميلة الرائعة، لكن مما كان جمال المرأة فهى لم تكن حبيبة بريت، وتساءلت هل سيواتيها حظها ويحبها. لقد وقعت أمور غريبة، ولو تطلعت قطة

لتصبح ملكة إذن لكان فى إمان مربية أن تطمع فى الفوز بقلب رجل لعوب !! .

سألته السيدة بروكيتور وهى تخلع نظارتها «هل ستعتزل السباق ؟»

«لماذا يجب أن أعتزل ؟ إيما يسعدها أن أكون كما أنا» .

وجهت سؤالها إلى إيما «ألا تخافين عليه ؟»

«أظن من الخطأ زواج شخص على أمل تغييره، يا سيدة بروكيتور إما أن أتزوجه على علاته أو لا أوافق أصلاً» .

ردت المرأة بنفاق «كم أنت عاقلة ؛ أتمنى أن تخافى على رأيك» .

قالت ديانا وهى تنظر إلى بريت «لا أراهن على ذلك، أرى أن هذا هذا الزواج سينتهى مثل زواجك الأول» .

رد بريت «لن ينتهى، إيما كرست نفسها لساندى» .

إندفعت السيدة بروكيتور «تعنى أن إيلين لم تكن كذلك ؟ هذا شىء فظيع !! لو أنك ...» .

تدخل السيد بروكيتور ووضع يده على كتف زوجته «من فضلك يا مارجريت نبش الماضى لن يفيد أحد» .

أضاف بريت بلهجة جادة «خصوصا وأنتم لا تعرفونه أصلاً، ولتجنب مزيد من النقاشة اقترح عدم النظر للوراء والتركيز على المستقبل ساندى حفيدتكم وأدرك أنكم تحبونها وتريدون رؤيتها، ولم أسمح لكم لو حاولتم تشويه صورتى أمامها ..

ردت السيدة «لن نفعل ذلك أبداً !!» .

كانت أمسية لا تود إيما أن تتذكرها رغم أن آل بروكيتور إهتموا بإظهار مشاعر الود والصداقة، إلا أنها تحسست كراهيتهم لها وتقدر دوافعهم . لقد تصرف بريت بإسلوب لا مبالى رغم

وضوح الإنفعال فى عيونه .

وحاولت إيما تخيل زوجها به وكيف سيكون، وعرفت أن حياتها بعد الزواج ستختلف قليلاً عن حياتها الحالية . ستواصل رعايتها لساندى، ويواصل بريت طريقة حياته مع السباق ؛ فى النهاية هذا هو سبب زواجه منها : حتى يستطيع أن يعيش حياته دون القلق على مستقبل إبنته، وامتلأت نفسها بالمرارة حتى ذكرتف نفسها أنها وافقت على خطوبته وعيونها مفتوحة ولم يخدعها أحد .

عندما أوصلها إلى غرفتها بعد انتهاء تلك السهرة غير المريحة لم تطق الإنتظار وقالت له «عندما تريد الحصول على حريتك يا بريت أخبرنى فقط» .

مبتسماً «ألست قد حققت حريتى بإعتبارى زوجك ؟ ولن تكونى زوجة لحوحة أتمنى ذلك ؟» .

«تعرف أننى لست كذلك . لكن أفكر فى اليوم الذى قد تقع فى حب إمرأة أخرى وتريد زواجاً حقيقياً» .

«هذا ما حدث لى معك يا إيما الصغيرة وأنت زوجتى الفعلية الأصيلة» .

«شكراً، لكن ليس هذا ما أقصده» .

«ولم أقصد أنا أيضاً» وهو يخطو داخل المقعد معها «أعرفك أنك وافقت على زواجى فقط من أجل ساندى، وأنا ممتن وأقدر لك ذلك، ربما الزواج بلا حب فرصة أفضل للنجاح، العاطفة تعطل ذكاء المرء كما تعرفين» .

حدثت إيما فى وجهه، وسألته : «أنت سعيد أليس كذلك يا بريت» .

«سعيد كما لم أشعر بها من قبل»

«حاول ألا تشعر بالذنب تجاه زوجتك».

«لم أشعر أبداً بالذنب تجاهها. لم أفعل شيئاً أندم عليه...».

«لماذا نتحدث عن إيلين الآن؟ أريد أن أنساها» تناول المفتاح من يدها وفتح باب غرفتها «هخل تسمحين لى بقبلة مساء الخير!!».

«سأسمح لك بها».

سألها «مذعورة منى؟».

«فقط لو أردتنى أن أخاف».

«لا أريد أن أخيفك يا إيما أنت طيبة القلب ولا أريدك أن أن تخافى منى أبداً..».

قبلها فى جبينها ودفعها داخل الغرفة وهمس لها بتحية المساء؛ وأغلقت الباب.

وقفت خلف الباب تتسمع وقع أقدامه وهى تعرف أنه سرق قلبها معه سرقه للأبد.

الفصل الثامن

الزواج العجيب

قرر بريت أن يتم الزواج بأسرع ما يمكن، ووافقت إيما فليس لها عائلة تدعوها للحضور.

وسألته «ألن تدعو أباك وشقيقك؟»

«سأكتب وأبلغهم»

إنفجرت غاضبة «لن تفعل!!».

«لا» وضحك «سأبرق فقط لهم لأبلغهم بزواجنا وسأذهب معك بسرعة إلى إنجلترا لتقابليهم».

كانت تريد أن تسأله إن كان ينوى أن يحكى لهم الحقيقة؛ ولم تستطع تخيل ذلك؛ ولا تستطيع أن تعيش على حد السيف!!.

وكأنه يقرأ أفكارها قال بهدوء «لا تنشغلى بأراء الآخرين عنى؛ يا إيما. لكن أحكمى على بنفسى».

إعترفت رغماً عنها «لقد كونت الكثير من أرائى عنك».

«لا أوافقك!! إذن لماذا لا تسترخين وتأخذين الأمور على علاتها؟».

www.elromancia.com

يا لها من نصيحة غالية؛ لكنها غير واثقة من قدرتها على العمل بها بمجرد أن ينظر إليها بريت يصهل قلبها؛ وهى خائفة من إعتمادها على رجل مثله فى سعادتها. فهى تفكر فى مستقبلها معه بعد إعتزاله السباق؛ وعندما لا يصبح محتاجاً لها؛ وستضطر للحياة بدونه. لكن هذا لن يحدث إلا بعد سنوات؛ ولذا ستعمل بنصيحة بريت وتستمتع بكل يوم من حياتها.

بعد إسبوع غادر آل بريكتور ريو؛ وخلال وجودهم بذلت إيما كل جهدها لتجنبهم. وإحترمت رغبتهم فى البقاء بجوار ساندى؛ وظلت بعيدة عن المستشفى.

يوم توديع بريت لهم حتى المطار؛ أسرعت إيما بالذهاب إلى المستشفى لتبلغ إيما أنها ستتزوج أبيها.

صاحت الطفلة فى مرح وسرور «أنت؛ يا إيما؟ يا له من خبر سار!!».

«ظننت أن هذا يسعدك».

«أنا أسعد إنسان فى العالم!! والآن لن أضطر لدخول مدرسة داخلية. وأصبح لى ماما ترعانى».

تضايقت إيما؛ وقالت هذا جانب لم نناقشه وقررت مفاتحة بريت بأسرع ما يمكن.

عندما قالت له إعترف «لم أفكر فى مدرستها لكن الآن ساندى تقول..».

قالت إيما «لا حاجة لإرسالها بعيداً؛ أليس كذلك؟ أنا مؤهلة لتعليمها طيلة الأعوام القليلة الماضية، وعندئذ..» كانت تريد أن تقول «قد تقرر إعتزال السباق وتستقر وتعيش حياة طبيعية» لكنها أمسكت لسانها.

رد بحذر «؟ لا أتزوجك لتجعلى حول عنقى نفسى قيد

إيلين!! لذا لا داعى لأى غمز أو لمز لما يجب أن أفعله فى حياتى».

«أنا لا أغمز!! فقط أفكر فى ساندى..»

قاطعها «فكرى فقط فى ساندى ودعنى وشأنى».

أومأت بخدود مشتعلة؛ وتذكرت المثل الشهير «إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب».

قال قاطعا تدفق خواطرها «سنتزوج فى بدء الأسبوع القادم، سأرتب الأمر مع المجلس البريطانى».

«الاسبوع القادم؟ لا أتوقع هذه السرعة».

«كما قالت ماكبث» إن كان يجب فعلها فالأفضل فعلها بسرعة».

إستند بريت مسترخيا على مقعده، وهو يرمقها بنظراته، وشعرت بالدم يتدفق فى عروقها.

أومأت إيما وهى تخفى خيبة أملها. لأنه ينظر إلى الزواج كترتيب عملى.

فى الصباح التالى تسلمت مظروفاً أرسله لها ملىء بأموال برازيلية أكثر بكثير مما تكسبه طيلة عام بأكمله؛ ومعه ورقة من بريت يطلب منها شراء بعض الملابس، رغم سعادتها اعتبرت ذلك نوع من إظهار تعاليه عليها، لذا تركت له المظروف والورقة فى مكتب الاستقبال.

لم تراه ثانية حتى نهاية المساء؛ عندما قابلته فى المطعم، حيث تتيح لهم المائدة رؤية المدينة من زاوية رائعة. لم يشر إلى رسالتها، ولا هى، وتناولوا طعامهم، وتبادلوا الحديث بسهولة وكأنهم أصدقاء قدامى.

ورغم إقتراحة ليلة أمس بقيامها بشراء خاتم ماسى للزواج؛

إلا أنها إختارت خاتما ذهبيا ؛ أبسط خاتم وجدته ، وهى تسلمه له لمحت نظرة الضيق فى عيونه .

وقال «أرى أنك ستصحبن مشكلة لى يا إيما ؛ منذ أن أعدت النقود التى أرسلتها لك ؛ والآن تشترين هذا الخاتم الرخيص !! »

«هل يمكن أن ترانى ألبس الماس يا بريت ؟ »

«أرى كل النساء تلبسن الماس ؛ رفضك إنفاق المال شىء غبى ونوع من الكرامة الزائفة . وبصرف النظر عن الماس ، كل العرائس تحب أن يكون لها جهازها » .

«لست عروسا بالمعنى الفعلى للكلمة ولو لم يعجبك ذوقى فى الملابس ... »

«لا يهمنى ملابسك ، لكن الآخرين بمجرد أن تصبحى زوجتى سينظرون إليك ، فهل تؤدين دورك كما ينبغى أم نصرف النظر عن الأمر كله » .

إتسعت عيناها وقال متنهدا «ليس بالمعنى الذى تفهمينه ؛ عليك اللعنة ولا تذعرى هكذا . ليس هنا نقص فى النساء الجميلات اللائى يتطلعن لى » .

«أيجب أن تكون وقحاً هكذا ؟ » .

ضحك ؛ مستعيداً مرحه «كم أنت صعبة يا إيما ؛ متقلبة ، فى لحظة كأنك واحدة من الطراز القديم ؛ واللحظة التالية تتجاوبين بكل عواطفك » .

«لم أقل أبداً أننى متبلدة المشاعر بادرة عاطفياً يا بريت ، وأنت ساحر وفاتن تذهب عقل أى فتاة .. لكننا سنتزوج لأجل ساندى ومن الخطأ أن تنسى ذلك » .

«ربما كان كل شىء سيكون أسهل لو كان زواجنا

طبيعيا » .

«لا أظن ذلك ، الأهم أن تكون أصدقاء مخلصين لا أزواج تعساء !! » .

علق على حديثها «تعودين مرة أخرى للإقتباس من أوسكار وايلد ؟ عموما ما الذى يجعلك تتوقعين أننا سنكون عشاق تعساء !! » .

«لأن الجنس بدون حب مجرد عبث لا قيمة له » .

«إذن سيظل أصدقاء ، وهذا قرار ، أظنك تفهمين ، لا أريد نضيع الليلة كلها !! » .

إبتسمت لتخفى عذابها !!

يوم الخميس التالى خرجت ساندى من المستشفى فى نهاية اليوم ، لتشهد زفاف أبيها على إيما .

ألبسها الخاتم فى إصبعها وذراعين قويتين تطوقان عنقها ؛ أدركت مدى مسئوليتها عن ساندى التى تحب الرجل الواقف بجوارها ، غادروا مكتب القنصل لمواجهة أضواء كاميرا التصوير ، والصحفيين الذين يطاردون المشاهير .

همس لها «كان يجب أن أدرك أننا لن نحتفظ بسرية زواجنا » وهو يرد على أسئلة الصحفين فى طريقهم إلى السيارة وهمس لها «لقد أوضحت للقنصل ألا يسرب الخبر لأحد وتأكدت أننا فقط اللذين سنتزوج اليوم » .

«أظن الإعلان هام لك » .

«كسائق سباقات نعم ، لكن ليس فى حياتى الخاصة » .

«من الصعب على الشخصية العامة أن يفصلين بين الإثنين » .

«صعب لكن ليس مستحيلا ، لو فكرت فى ذلك ، ربما

تزوجنا فى إيبرا».

داعبته «حتى يسير كل عمالك خلفنا؟».

«معك حق يا إيما».

لست صغيرة بقدر ماتتصور إن لم أضايقك» لقد ضايقها حديثه معها كأنها طفلة.

إعتذر «آسف، لكن يمكن أن تكونى بمظهرك شقيقة ساندى ولست زوجة أبيها!!».

نظر إلى ملابسها وتساءلت «جديدة؟»

«نعم».

«إشترتيهم بنقودك لتظهر إستقلالك».

«سأنفق أموالك حالا لقد تزوجنا».

«واضح أنك تجدين صعوبة فى إيجاد الكلمة «زوجة» لكن يجب أن تعتادى.

«أمهلنى وقتاً».

«إيما البائسة، أفترض أنك نادمة لأننى حرمتك من مضيفات الزفاف وقداس الزفاف فى الكنيسة».

«لا أفكر فى شىء أسوأ من وصيفات الزفاف بالنسبة للزفاف فى كنيسة، حسنا، هذا شىء يمكن إقامته عندما..» توقفت وأكمل هو الجملة لها:

«عندما تقطعين عهداً حقيقياً؟»

«نعم، والآن تغير موضوع الحديث؟ أشعر بتدفق مشاعرى وأخشى أن تخوننى دموعى».

«هل تبكى النساء دائماً عندما يكونون سعداء؟». قهقهت ساندى لتذكر إيما أنها سمعت كل شىء.

ردت إيما «أظن ذلك، ربما تبكين يوم زفافك؟»

ردت ساندى «لن أتزوج أبداً، سأعيش معك ومع أبى للأبد».

صحح لها بريت «حسنا، على الأقل حتى يصبح عمرك إحدى عشر عاما، بعد ذلك قد تدخلين مدرسة داخلية».

فتحت ساندى فمها دهشة مما قاله أبوها وإحتضنته وهى تصير مرحاً.

«تقصد أننى لن أذهب إلى مدرسة إليستر؟ ياه يا بابا كم هذا مدهش».

رد على ساندى «أعرف أن ذلك يسعدك» لكنها نظرت إلى إيما «أنها هدية زفافى».

ردت إيما «الطف وأجل هدية يمكن أن تقدمها لى».

بعد وصولهم إلى الفندق سألته: «هل أخبرت الجميع فى ميرتولا أننا تزوجنا؟»

«أخبرت بيل وطلبت من نشر الخبر على الجميع».

ركبوا طائرة ستقلهم إلى مورتولا.

تحيرت إيما هل سيدرك عمال بريت أن هذا زواج تقليدى، وعند الظهيرة كانوا فى غرفة الزهور الطبيعية بمنزله.

كان الجميع فى أحسن حالات سعادتهم وترحيبهم وتبادلوا أنخاب الشمبانيا.

بعد أن إنصرفت ساندى لسريرها، إنطلقت الألسن فى تعليقات وتلميحات رجال لم يألفن وجود سيدة، جاء معتذراً.

«لم يغادروا أبداً وجود سيدة، سأمسك ألسنتهم فى المستقبل».

«لن يرونى كثيراً؛ ساكون مع ساندى معظم الوقت».

«وستكون ساندى معى معظم الوقت عندما لا يكون أمامى

سباقات. هذا يعنى أننا سنكون معاً، لا أريد أن أجعل زواجنا مادة للأقاويل، هنا ألسنة سليطة لاذعة».

أضاف «لن يتغير شيء بيننا، لذا لا تخافى ولا تنزعجى».

«لست خائفة».

«عموما سنعود إلى منزلنا سريعا».

«نحن فى المنزل الآن».

«أقصد منزلى فى يوركشاير، سنذهب هناك لقضاء الكريسماس».

«لم أدرك ذلك».

«هناك الكثير لم تدركينه».

«هذا ينطبق عليك أيضاً»

ذهب ليصب لنفسه كأساً، والتفت ناحيتها «إهتمى بافصاح ما يدور بذهنك».

«كل هذا الحديث فقط للتظاهر بأن زواجنا حقيقياً لن تأتى ثمارها. لقد قلت أنك لن تغير أسلوب حياتك، ولا أنوى أن أكون موضع شفقة رجالك بينما أنت تخرج من نساء أخريات..»

«لماذا لا تنتظرى حتى يحدث هذا؟ يجب ألا تتعجلى؛ ربما أدهشك ببقائى فى المنزل كزوج أليف».

«سباقك يستغرق منك أكثر من ستة أشهر».

«سأظل مخلصا لعروس المجوبة».

«ويمكنك أن تطير الحمامات!!».

«وبالمثل البشر، يا إيما يا صغيرتى. أنوى الخروج بكما أنت وساندى. وهذه ميزة أن تكون الزوجة مربية!».

«تقصد أن نسافر معك؟»

«ألا تحبى ذلك؟»

«كثير جداً. لكننى أظن.. حسناً، لم تأخذ زوجتك معك أبداً و...»

قاطعها «أنت زوجتى الآن» تنهدت إيما.

قالت بصوت عال «لو سافرن أنا وساندى معك، أرجو أن تحافظ على ميثاق زواجنا».

«أن أكون مخلصاً؟»

«على الأقل لا تجاهر بعدم إخلاصك».

«سأفعل».

شردت فى خواطرها وهى تبعد عيونها عنه.

قطع عليها تفكيرها «لا يبدو أنك عروس فى ليلة زفافها، هل تتعمدين ذلك؟»

«نعم أنا.. أعتقد لو..»

«إلبسى شيئاً يليق بك يجعلنى أتطلع إليك بلهفة وإنبهار».

«أعرف أننى لست مثل فينوس ولكننى أيضاً لست أشبه راكبات ظهر الباصات ولكنك هو سحر لا يقاوم!!»

«لكننى لا أتطاول على من لا يريدنى»

قطع الصمت الذى دام لفترة وقال «إهدئى، أنا سعيد تماماً بمعاملتك كأخت حتى لو غيرت رأيك..».

إبتسمت وهى تدرك مغزى تلميحاته وسألها «لماذا تبسمين؟».

وهى تفكر فى الرد على سؤاله إتجهت إلى جهاز الستريو لتضع شريطاً، وإختار مقطوعة موسيقية كلاسيكية، وجلست وهمس هو «موسيقى هو أفضل مؤلف موسيقى فى رأيى».

«وأنا أيضاً رغم أن بيتهوفن عظيم مثله»

«أوافقك. يبدو أننا مشتركان فى أمور كثيرة أكثر مما توقعت».

«أنت لم تفكر أبداً، على الأقل عندما يتعلق الأمر بى، أنا مربية ساندى وجزء من الأثاث»

«مقعد مريح ونظيف جداً وصغير».

«وأنت دكة راهب».

«لست راهبا أبداً، كم أنت بريئة يا إيما وتثيرين مداعباتى لك».

«ألا تحب البراءة؟».

«لست واثقا، فى الأطفال نعم، لكن فى النساء.. فى الزوجة؛ أفضل الناضجة».

«هل البراءة تستيعد النضج؟»

«سؤال جيد سأجيب عليه بعد أن أتعرف عليك جيداً».

وتوطدت العلاقة والألفة بينهما فى غضون أسابيع وشعرت بالقناعة وتحيرت فى مشاعر بريت، لكن بيل قدم لها مفتاح اللغز المحير، عندما جاء إلى الشرفة بعد ظهيرة أحد الأيام وكانت إيما تستريح بينما ساندى ذهبت للسباحة فى الحمام مع أبيها.

قال بيل «يا للأسى أن بريت لم يقابلك منذ سنين مضت، أصبح هادىء البال ويعمل بسلاسة هذه الأيام، مسترخياً بشكل لم أراه هكذا أبداً».

«لأنه أطمأن على مستقبل ساندى»

لم تتظاهر إيما أن تغير سلوك بريت بسبب الحب، لأنه يعرف أن بيل صديقه الحميم مؤكد عرف منه السبب الحقيقى لزواجهم.

واصل بيل حديثه «لكن الاطمئنان على ساندى لا يجعله حبيس المنزل كل ليلة لم يخرج أبداً للسهر مع الأولاد!!».

«لا أظن ذلك!! مازال يمثل دور العريس الجديد».

«هناك ما هو أكثر من ذلك».

«أنت مخطىء»

«مخطىء حول ماذا؟» بادرهم بيريت الذى دخل القرفصاء لينضم لهم شعره مبلل،

رد بيل كاذبا «كنا نناقش السرعة والأمان على الطريق، وإيما تعتقد أن كل الطرق يجب أن تضع حداً للسرعة القصوى لا يتجاوز خمسين ميلاً فى الساعة مثل الأمريكيين».

رد بريت «لا أعترض، بمناسبة السرعة لقد وافق مارتين على التعديل الذى إقترحته على السيارة».

إنصرف بيل ومدد بريت ساقيه وأغمض عيونه.

تساءلت وهى تشاهده ناعساً كيف كانت ملامحه منذ ثمانى سنوات عندما تزوج إيلين؟

إجتاحها مشاعر غيرة مفاجئة من كل النساء اللاتى مررن فى طريقه قبلها، وحتى لا تغرق فى خواطر مؤلمة قررت البحث عن ساندى، وعندما مرت أمام مقعده سألها «إلى أين تسرعين؟»

«أبحث عن إبنتك».

«أبوها يحتاجك أيضاً».

رقص قلبها وهى تحاول الرد بثبات «تحتاجين فى أى شىء؟».

«الرفقة، الراحة».

«طلباتك أوامر» وإبتسمت، وجلست مرة ثانية.

« هذا أفضل » .

بسرعة غرق فى النوم ولم تتركه كما طلب منها ، وتمنت لو ركعت بجواره لتدلك له قدميه وتقبل وجهه وتتمنى لو..

لم تعد تطيق تلك الأمانى ووقفت وبهدوء خطت بعيداً عنه..

الفصل التاسع

الزوجة العذراء

رغم أنها لم تجد فارقاً فى حياتها معه سواء كمربية لإبنته ، أو بعد أن أصبحت زوجة له ، لكن الأحداث أثبتت خطأ توقعاتها ، فلقد أراد منها أن تظهر إجتماعياً أكثر مما كانت ، وإنضم لها هى وساندى على الغذاء فى الحضانة أو فى الشرفة . وذات مساء صمم على تناولها العشاء معه هو والرجال ولم تعد هذه مسألة مرعبة لها فلقد تعودتها تدريجيا .

وبدأت علاقتهم تتحسن ، وتتزايد الألفة ويزول التحفظ .

فى ظهيرة أحد الأيام بادرتها ساندى وهى جالسة فى ظلال شجرة « بابا سعيد جداً بزواجك » كانوا فى فترة راحة بعد دروس الصباح المجهدة .

ردت إيما بحذر « وأنا سعيدة جداً بزواج والدك »

« وأنا فى قمة سعادتى بأن تكون لى ماما لن تهرب منى » .

طمأنتها إيما « لن أفعل ذلك أبداً » ولم تصبر على إحتضانها ورقصت بها على العشب الأخضر .

وسألتها ساندى « أيمكننى أن أناديك يا ماما ؟ »

www.elromancia.com

جاء رد بريت من خلفهم «إيما ليست كبيرة لتصبح أمك» شعرت إيما بوخز مؤلم فى كلامه.

عندما أسرعت ساندى لتلعب بالكرة قال لها «أظنك تعتبرين أن من الخطأ أن أقول ذلك».

ردت بسرعة «لقد أرسيت القاعدة».

«لا أظنك تريدينها أن تناديك يا ماما أنت صغيرة جداً وهذا لا يناسبك».

«أنا فى عمر يسمح لى أن أكون أمها، رغم أنك متمسك بإعتبارى عروس طفلة!!»

«وهو كذلك، تمام. أنتما وشأنكما لا يهمنى».

فى النهاية تحدثت ساندى عندما قذفت الكرة وهى تصيح «إمسكيها يا إيما!!».

علق بريت عندما جرت إبنته مرة أخرى «هل فهمت ما أقصده؟ المشكلة حلت نفسها».

«لم تكن مشكلة أبداً. يمكن فقط أن تصبح كذلك لو..» توقفت عن الحديث خجلاً ورفع بريت رأسه متسائلاً.

«لو ماذا؟»

«لو أن زواجنا كان زواجاً حقيقياً وأنجبنا أطفال سينادوننى يا ماما وتشعر ساندى أنها مهجورة، لكن ذلك لن يحدث لنا».

«ماذا يجعلك واثقة هكذا؟ أنت إمرأة جذابة جميلة.. أنظرى أنا لم أعد أفكر فيك كفتاة!! ولم أعد استمتع بالصعلكة».

إنتهرته «لكنك لم تكن تفكر بهذه الطريقة عندما تزوجت إيلين».

«كيف تعرفين ما كنت أفكر فيه؟ قلت لك من قبل لا تصدرى على أحكاماً عشواء، ولا تصدقى مزاعم آل بروكتور».

«لم أفعل؛ حتى رغم أنك غير صريح معى».

«أنا لا أؤمن بالإعترافات. زواجنا إتفاق عملى و..».

«إذن لماذا تقترح أن يكون مختلفاً؟»

بدا متقهقراً ولم ينطق وإنتهزت الفرصة لمواصلة هجومها.

«على الأقل حافظ على إتساقك فى موقفك منى، يا بريت. تزوجتنى لتوفر لساندى وصى عليها، وهذا سبب موافقتى على زواجك فى الأساس».

«هل يسعدك الإستمرار فى ذلك؟»

«نعم» كانت واثقة أنها تكذب لكنها أضافت «لقد إتفقنا ومن الظلم أن تحاول تغيير بنود الإتفاق».

«أنت على حق؛ يسعدنى أن أوقفتنى عند حدى يا إيما، وأنا أستحق ذلك».

كانت تتمنى أن يمنعه حبه لها من التسليم بهذه السرعة وجف حلقها وأوشكت الدموع أن تنسال من مآقيها، وهى تجاهد نفسها لمنع هذه الدموع وحبها وأسرعت ساندى ناحية أبيها الذى حملها وبدأ يطوحها فى الهواء، وقهقهت الطفلة مرحاً مما ساعد إيما على التماسك، والسيطرة على أعصابها، وشاهدت بريت وإبنته يتدمرجان معاً على الحشائش الخضراء، ووقف معلنا أنه سيتمشى لفترة فى جولة حرة، ودعاها للحاق به.

«تعالى معى يا إيما» أدركت أنه يديد مواصلة حديثه، وتبعته.

بعد فترة عندما وصلا إلى الشاطىء قال لها «لست بحاجة

للخوف منى يا إيما، أنت حذابة جداً ولا أنكر أننى مغرم بك !! لكننى أعرف عندما لا أكون موضع رضا أو رغبة ولست غاضبا منك لتمسك ببنود إتفاقنا».

«يمكنك إلغاء الإتفاق وقتما تشاء يا بريت».

«تقصدين ... ؟»

قاطعته «لا، ليس ذلك، مجرد لو أردت إنهاء الزواج ..»

«لا أريد ذلك، هذا الزواج ملائم لى تماماً».

سألته نفسها؛ لكن لأى مدى ؟.

واصل حديثه «أتمنى أن توافقى على قضاء الكريسماس مع عائلتى فى يوركشاير، لدينا منزل قديم واسع جداً، ولن أضايقك هناك».

«قضاء الكريسماس فى يوركشاير شىء جميل جداً، هل لديكم مدافىء ؟».

«طيلة تسع أشهر من العام !! ولدينا تدفئة مركزية أيضاً، لكن بابا يحب ما يسميه الدفء الحقيقى».

«هل يعرف حقيقة علاقتنا ؟»

«لا، لا أظن أن هذا شىء يمكن مناقشته عبر التليفون.. حسنا، لم أخبره ولن أوضح له إن لم يضايقك ذلك».

لا تدرى ماذا تقول وقررت الإنتظار لترى كيف تسير الأمور عندما تذهب بنفسها إلى منزل حماها.

سألته «متى ستذهب هناك ؟»

«هل بعد إسبوع ملائم لك ؟»

«يعتمد على ما يجب عمله. هل سنغلق المنزل هنا أم سيبقى الخدم هنا ؟»

«حتى الآن كانوا يبقون فى المنزل، لكننى لست واثقة

ماذا سأفعل فى المستقبل».

توقف غارقا فى أفكاره، وتمنت إيما أن تسأله عن خططه الأخرى لكنها إمتنعت عن السؤال.

واصل حديثه «حتى الآن سأترك الأمور تجرى كما هى؛ وهذا يعنى أنك ستحزمين أغراضك وحاجيات ساندى فقط».

تنهدت وهى تتطلع إلى المنزل «سأفتقد هذا المنزل، منزل هادىء ورائع، على الجانب الآخر هناك منزل كبير وقديم فى يوركشاير يبدو أكثر ألفة وعلى الطراز الفيكتورى».

كشر «كم أنت أليفة، وببراعة قلب طفل يا إيما وأحسدك على ذلك».

وخمنت أنه يتحسر على الأعوام التى أضاعها فى زواجه السابق قالت له «إنسى الماضى يا بريت».

«أحاول لكن ليس سهلاً».

تركزت عيونه على وجهها، ثم تلاقت الشفاه، كانت قبلة محمومة غير متوقعة، قبلة يشوبها الغضب وإحتضنها بقوة.

تعرف أنه يتمناها وبدأت دفاعاتها تتهاوى، وحاولت أن تستجيب له، رغم أنه زوجها، وهى غارقة فى حبه، ومن الجنون أن تنكر ذلك.

لكنها غير واثقة من حبه لها. وتعالت صرخات أمواج البحر الهادرة، وتطايرت الأمواج المتصارعة لتقذف برذاذ لأعلى وكأن الموج يشرك العاصفة لحظة هياج الطبيعة البكر.

تراجعت إيما كالشاطىء يصعد أمواج البحر وهى تقول له «لا تتعود على ذلك».

«لن أفعل، أقدر صداقتك يا إيما كثيراً».

«كما قلت لك مراراً يمكنك أن تطلب منى الرحيل وقتما

تشاء!!»

«ماذا تقولين يالك من إمرأة تلح ولا تمل من تكرار نفس الشيء، أنت وإبنتى ساندى عاملين رئيسين فى حياتى، ولن أتخلى عنكما».

أسعدها سماع ذلك، وعادوا معا إلى المنزل، وهى تحاول تجاهل حقيقة أن طول بقائها معه، يضاعف آلامها ومعاناتها ولن تطيق تحملها كثيراً، فاذا تفعل؟

الفصل العاشر

فى صبيحة يوم قارس من فواتح ديسمبر وصلت إيما لتشاهد للمرة الأولى المنزل الذى ولد بين جدرانه بريت. قصر مهيب مبنى بأحجار يوركشاير الرمادية، محاط بأسوار من الأشجار تحميه من الرياح. واجهته جذابة كأنها ترحب بالقادمين، ونوافذه تتلألأ بأضواء ساطعة، الطلاء أبيض مثل الثلج.

داخل المنزل؛ كان فسيحاً دون أن يشعرك بالفراغ، وممراته الداخليه قليلة ضيقة تدهش العين، تجعله يبدو وكأنه شيد منذ مئات السنين، رغم أنه مؤثث بكل التجهيزات الحديثة بما فيها السخانات وأجهزة التكييف والتدفئة، ورغم أن والد بريت لا يستخدم ويفضل المدافىء الخشبية فى غرفة المعيشة الرئيسية.

كانت إيما فى منتهى العصبية والقلق من لقاء والده الذى هو حماها؛ لكن بمجرد أن رأته تلاشى خوفها؛ لأنه كان نسخة قديمة من بريت؛ شعره فضى ناصع، وعيونه البنية لامعة بنفس ملامح عيون بريت، فقط صوته له رنة مختلفة وأرفع من صوت إبنة؛ وبلهجة أهل يوركشاير.

www.elromancia.com

تركته يتحدث مع والده على إنفراد ، وأخذت ساندى وصعدت السلم إلى الغرف المجهزة لهم . حيث أعد للطفلة جناح فى الطابق الأعلى ؛ تطل نوافذها على مشهد رائع من أشجار خضراء ظليلة تلمع فى ضوء الشمس .

يتكون الجناح من غرفتى نوم ، حمام ، وغرفة لعب واسعة ؛ واضح أنها كانت لبريت وشقيقة ؛ لأن كتب الأطفال مازالت على الأرفف ، وهناك دولاب مليء باللعب القديمة . ليس بينها ألعاب حرب النجوم بل رعاة البقر وألعاب الهنود الحمر بدلاً من الصخور!! .

دخلت فتاة شابة قدمت نفسها بأنها ميللى دودسى وأنها جاءت لمساعدة ساندى فى الاستقرار داخل الغرفة ، وبدأت تصفف لها ملابسها ، وقالت أنها منذ عام كانت تعمل فى محلات بيع ملابس ولكنها تفضل عملها الحالى .

سألتها إيما «من يعمل معك هنا ؟»

«السيدة إيبسون وزوجها فرانك ، هى مديرة المطبخ ، وفرانك مسئول عن الإشراف وهناك سيدتان تجيئان من القرية يوميا لتنظيف المنزل» .

إبتسمت إيما «رفاهية»

«حسنا ! السيد آدامز ؛ عادة ما تقيم حفلات وأحيانا يتناول العشاء هناك أكثر من عشرين ضيفاً» .

وسألت إيما «هل تريدين أن أساعدك فى تصفيف ملابسك وحاجياتك يا سيدة آدامز» .

شكرتها إيما وتركت ميللى تستكشف دولاب لعب ساندى معها ؛ وذهبت إلى غرفتها فى الطابق الأسفل . وجدتها غرفة واسعة فخمة أرضيتها مفروشة بسجادة فاخرة ؛ وستائرها وردية ،

وتطل على نفس المنظر مثل نوافذ غرفة ساندى . وأثاثها قديم وفخم ؛ وخصوصا سريرها الواسع .

لم تستغرق وقتاً فى تفريغ حقائبها فليس معها ملابس كثيرة ، وستضطر للذهاب إلى منزلها لإحضار ملابسها الشتوية ؛ مالم يعترض بريت ويراها ملابسه لا تلائمها الآن . لقد أدهشها بذوقه الرفيع ، ودقة ملاحظته للموضة ، ولرفضها إنفاق نقوده أخذها بنفسه ليشترى لها من محلات إيمبرا ، ويختار بنفسه الموديلات .

كل ملابسها جميلة لكنها جميعاً لا تقيها برد الشتاء وبعد إفراغ حقائبها ؛ ذهبت لتنضم إلى بريت ووالده فى المكتبة . مازال الرجل العجوز جالساً أمام المدفأة ، وبريت فى الركن القصى يلعب مع ساندى .

عندما جاءت ساندى لتجلس بجوار جدها قال معلقا «يا لها من طفلة غير تلك التى رأيتها منذ ستة أشهر ؛ أصبحت متعلقة جداً بأبيها» .

علقت إيما «لأنها تعرف مدى حبه لها ، وكل ما تحتاجه لإسعادها ألا تقاطعها وهى تتحدث!!» .

قهقه الجد «إذن هى التى ترعى إبنى الأصغر!! بالمناسبة روجر يعتذر لعدم وجوده للإضطراره الذهاب فى عمل إلى لندن ، وسيعود الليلة!!» .

«هل يشبه بريت ؟» .

«لا ، لا ، عكس بعضهما تماما ، الشيء الوحيد المشترك بينهما هو عشقهما للسيارات . وبالإضافة لأن روجر هو الذى يرعانى أما بريت فهو مثل أمه «تنهد الرجل العجوز «بعد خمسة عشر عاما مازلت أفتقدها» .

«لا أدرى أنها ماتت منذ هذا التاريخ الطويل»

«كان بريت فى الثامنة عشر وروجر فى الثامنة، ولهذا تأثر بريت بها كثيراً لإرتباطه وتعلقه بها. ظل طيلة عام لا يذكر إسمها، يا له من رجل عاطفى، وأنا واثق أنك تعرفين».

كانت تود أن تنفى له ذلك، لأن الرجل أظهر لها جانبا لم تكن تدرى بوجوده فى شخصية إبنه. ونظرت إليه فى الركن القصى وتلاقت عيونهما وابتسمت له بدلال؛ وحولت عيونها عينه، وهى تخشى أن يلتقط مشاعرها من ملامحها.

استطرد الوالد فى حديثه «أتمنى أن تتحركى فى المنزل فهو منزلك، ولو إحتجت شيئاً إطلبيه فوراً. أنت زوجة بريت، ذات يوم ستصبحين سيدة المنزل هنا. فى الواقع بمجرد أن يعتزل السباق ويستقر».

غمغمت إيما «لم أدرك أن هذا المنزل سيكون لبريت، لكن لماذا ستتركه له؟».

«لأنه يجب ألا يعيش العروسان مع العزال من أهل العريس!!».

«لا أعتبرك جماء، بل أرتاح لك جداً مكانك أبى فعلا».

قال بإبنه «أسمعت ذلك؟»

وهو مبتهج، وعندما هز بريت رأسه أعاد عليه كلامها.

رد بريت «دائماً تعرف أيما كيف تشعر الناس بالحب، هذا أحد أسباب زواجى منها».

إبتسم والده «لا أحتاج للسؤال عن باقى الأسباب، فهى واضحة لمن ينظر إليها».

علق بريت «بمناسبة الحديث عن العيون» ونظر ناحية إيما موجهاً حديثه إليها «يبدو أن عيونك على وشك النعاس، لماذا

لا تأخذين راحة وإغفاءة؟ لن نتناول عشاءنا إلا فى الثامنة والنصف».

ردت «،أنت أيضاً متعب جداً».

ضحك ووافقها.

أيقظها المنبه الساعة السابعة والنصف، وجلست مسترخية فى سريرها لفترة حتى تفيق، فلقد تركت الستائر مسدلة، وضوء القمر يغرقها بنوره عبر نرفذتين.

وهى تتنهد أضاءت الأباجورة بجوارها ثم ذهبت إلى الحمام، وكانت قد أنهت حمامها وإرتدت روبا عندما سمعت وقع أقدام، أطلت من الباب لترى بريت وسألته «هل تبحث عن شىء؟».

«هذا سؤال مثير، ماذا تعرفين لى؟».

«لا تكن سخيفاً؛ كل ما أقصده هو لماذا جئت إلى غرفتى؟»

«هل غرفتى أيضاً!!».

«ألتمس عقول؟»

«داعى للإعتذار!! ليس لدى أى إعتراض على مشاركتك الغرفة!!».

«حسنا، أنا لدى إعتراض».

«لا خيار أمامك، هناك أقارب كثيرون سيجيئون فى الكريسماس، وفى صباح الغد ستصبح كل الغرف مشغولة. وفضلا عن كوننا أزواج سعداء كما هو مفروض، وسيندهش أبى إن لم أشاركك غرفتك ونحن فى شهر العسل».

«لن يندهش لو قلت له الحقيقة».

«سأقول لى وقتما أشاء».

ارتفع صوته محتداً «لماذا كل هذا الجدال؟ مما تخافين، منى، أم من نفسك؟».

«بالتأكيد لا أخاف من نفسى».

«حسنا؛ ليس هناك مبرر لخوفك منى، لذا تتسببين فى مشاجرة لا داعى لها. قلت لك من قبل مراراً أننى لا أتدله على إمرأة لا تريدنى».

«يسعدنى سماع ذلك. لكن هذا لن يحل المشكلة» وهى تشير إلى السرير «أنا أرحب بمشاركتك لى الغرفة وليس السرير».

«يمكننا تطبيق عادة نرويجية قديمة ونضع حاجز فى المنتصف».

ردت غاضبة «يا ربى، كن جاداً!».

«أنا فى منتهى الجدية، لقد كانوا يضعون سنادة تحت السرير فى وسطه، حتى يعرف القرويون كيف تكون إرادة الرجل القوية، لوجدوا الستارة مكانها فى الصباح إذن..»

صاحت «ياه، إصمت، لن أنام معك فى سرير واحد وهذا قرار نهائى».

«آسف يا إيما، لكننى لا أستطيع أن أنام فى غرفة روجر».

«إذن لتفعل ذلك».

«لا أفضل ذلك، سيكتشف أقربائى ذلك، ولا أريد أن نصبح مادة للثرثرة».

تنهدت «ليس هناك سنادات لعينة للسرير!!»

«يمكننا وضع وسائد».

حاول بريت الحفاظ على جدية ملامحه ولكنه عجز،

وضحك، وإبتسمت إيما.

ورد «أنا فعلاً فى غاية الأسف».

«لن يفيدك الأسف، لا تكن سخيفاً لأننى غضبت».

هز كتفيه وفك رباط عنقه «أنت سريعة الإنفعال منذ زواجنا».

كل هذا صحيح، لكن كيف تخبره؛ أن إنفعالها بسبب محاولاتها لإخفاء حبها له؟ وبررت لنفسها «ربما أعصابى متعبة، سأحاول تهدئتها».

«إنسى ذلك، كلما تزايدت ألفتك وتعودك على ربما تستعدين حلاوة طبعك وروحك!!».

ضحك وضحكت معه، جلست أمام التسريحة تمشط شعرها.

قال لها «دعينى أمشطه لك» وبدأ يمشطه.

أغمضت عيونها، وبمجرد إنتهاءه فتحتها وطالعت عيونه فى المرآة وهمست «هو جميل».

رد ساخراً «فى خدمتك» وخلع الجاكت وإتجه ليعلقها فى الدولاب الكبير.

قالت له «سنحتاج لشراء دولاب كامل من الملابس الشتوية لساندى؛ وسأذهب لمنزلى لإحضار ملابسى».

«إشترى ملابس جديدة».

«هذا ما توقعت أن تقوله!! لكن هذا تبذير طالما عندى ملابس كثيرة».

«عندما لا تنفقين نقودى يكون هذا هو الهدر والتبذير، سأصحبك إلى هاروجيت غداً لتقومين بشرائها».

«نعم يا سيدى».

«يسعدنى أنك تعرفين من أكون !!»

أخذت فستانها إلى الحمام وإرتدته وعادت لتلتقط حقيبة يدها وهبطت السلم. كانت الأنوار مضاءة فى كل مكان.

هذا أول كريسماس لها بعد زواجها، ولو حدث له شىء سيكون الأخير!!.

صاح صوت «إذن أنت زوجة أخى» إستدارت لترى شابا على باب غرفة الجلوس إنه روجر، عيونه مثل عيون بريت، رغم أن بشرته شاحبة وشعره أكث وأشقر. أضاف «بابا قال أنك جميلة لكننى لم أتوقع هذا الجمال الرائع».

ابتسمت «الفستان فقط، ولا تنخدع به»

قهقه وخطا ناحيتها عند مدخل الغرفة ودخلوا معاً حيث يجلس الوالد أمام المدفأة.

سألها روجر «هذه أول زيارة لك ليوركشاير؟» وهو يناولها كأس شمبانيا، وعندما أومأت تدخل بريت «نسيت أن أقول لك أن روجر مغرم بالتاريخ؛ ولن يتركك إلا بعد أن يحكى لك تاريخ قرون؛ عام تلو الآخر!!».

رد روجر «نحن لا نؤمن أن التاريخ قد بدأ بإختراع العجلة!!» كشر بريت وصب كأس ويسكى وجلس بجوار والده.

بعد فترة جلس الجميع حول المائدة لتناول العشاء، وهى لا تصدق أنها هنا، تجلس وسط رجال فى منتهى الوسامة أحدهم زوجها. لم تكن تحلم بذلك عندما عرض عليها الدكتور والبول وظيفة مربية فى البرازيل!!.

تناولت ملعقتها وبدأت تحتسى حساء الخفنار، التى تبعها اللحم.

قال الوالد وهو يشير إليها عندما تناولت شريحة لحم واحدة «هذه لا تكفى ولا تشبع عصفور، ولن يشبع أى عروس يوركشايرية».

رد بريت «هى ليست من يوركشاير».

«هى الآن متزوجة منك يا مغفل!!»

ردت إيما فى النهاية «إذن سأتناول قطعة أخرى».

أعلن الوالد «يجب أن نزين شجرة عيد الميلاد غداً فى الصباح».

قال بريت «سنذهب فى الصباح أنا وأيما للتسوق من هاروجيت، ليس لديها ملابس شتاء وكذلك ساندى».

أعلن روجر «يتوقعون فى التنبؤات سقوط الجليد، سيكون الكريسماس أبيض».

رد الوالد «لن يمكن السير فوق الطرقات ولن يذهب أحد للعمل».

تحولت دفة الحديث إلى شئون العمل ولم تشترك إيما، وتركت نفسها لخواطرها. ورغم وجودها من ساعات قليلة شعرت بالراحة والألفة فى المنزل، ولم تفهم كيف تحمل بريت الإبتعاد عنه.

همس بريت فى أذنها «متعبة؟»

«قليلاً».

«حاولى أن تاكلى أكثر، لم تلمس شيئاً»

«أعرف، لكن الطعام يكفى»

«تناولى فاكهة إذن».

مدت يدها إلى طبق فضى وسط المائدة وناولها خوخة ناضجة وضعتها فى طبقها.

بدأت تنزع قشرتها، وإنتشت يدها لخجلها من العيون التى ترقبها، تناول بريت السكين والخوخة وقطعها لها ثم أعاد الطبق لها.

فجأة سأله أخوه روجر «هل تفكر فى إعتزال السباق؟»

أخفضت عيونها وتظاهرت وكأنها لاتتابع لكنه نظر إليها وأجاب «هذا يعتمد على إيما».

سألها الأب «كيف تشعرين بذلك يا إيما؟».

ردت ببطء «من الطبيعى أحب أن يعتزل السباق؛ لكن لاتسمح له بالمناورة وأن القرار قرارى. بريت رأيه من دماغه، ويفعل مايريد، وهذا شىء تقبلته ووافقت عليه عندما تزوجنا».

إعترف أبوه ممتناً لها «يالك من فتاة ذكية أفضل طريقة لتجعلى أى إنسان يفعل ماتريدين هو تركه دون سؤال».

غمز روجر أباه «أرجو أن تتذكر هذا يا أبى».

إعترف «أهى مشكلة؛ من السهل إسداء النصح لا العمل به؛ لكن الآن أصبح له زوجة؛ سأتركه لها».

بعد إنتهاء العشاء تركز الحديث على السيارات، وعادت إيما إلى غرفتها لتستريح ونظرت إلى السرير لتجد الوسائد وضعت كأنها ستارة تحته عند منتصفه.

حملت الوسائد ووضعتها فوق المقعد، وقررت ألا تظهر خوفها وتتصرف بأعصاب هادئة.

سمعت وقع أقدامه وسألها «مستيقظة!!»

«كيف عرفت».

«رموشك تتحرك»«

«كنت أحلم!!»

«بالمناسبة أين الوسائدة؟».

«أبعدتهم، لست خائفة منك»

«شقة حمقاء، أنا أخاف من نفسى».

«لست خائفة منك!!»

«أود أن تكون ثقتك حقيقية».

«ثقتى بنفسى مطلقة، عموما، لقد تزوجتك منذ أسابيع ولم أطلب منك شيئاً».

«لا أصدق كلامك».

«ماذا تعنى؟».

«أنا محبط، ربما يا إيما».

«أنا أكثر، لقد أرهقت هذه اللعبة أعصابى، أمام الناس زوجة، فى الحقيقة لا زواج أصلاً!!».

فى الصباح، سألها وهى جالسة أمام التسريحة «ما رأيك فى البقاء هنا أنت وساندى عدة أشهر؟».

«كنت أظن أننا سنسافر معك؟»

«غيرت رأيى، الأفضل أن تبقيا هنا فى إنجلترا».

«كل ماتقوله مجاب يا بريت».

«إذن إتفقنا، سيفرح أبى، وأيضاً يمكنك إدخال ساندى المدرسة هنا».

«إتفقنا على أن أقوم بتعليمها السنوات القليلة القادمة».

«فقط لو كنت ستسافرين معى، لكن لو بقيتم هنا..»

«حسنا جداً، معك، أقضى يومى فى التدريس لساندى، وأنت مسافر أقضى يومى وحيدة!!».

«واثق أنك ستجدين مايستحق إهتمامك لتشغلى نفسك به!!»

«إنفجرت غضبا «تمنيت لو لم أتزوجك !!»

«لماذا ؟»

«لا تتظاهر بالجهل !! الآن ساندى مع والدك وأخيك وهى واثقة من حبك لها، ولم يعد هناك حاجة لى هنا».

«هذا هراء، بالتأكيد تحب عائلتها، لكنها بحاجة لإمرأة لترعاها وأنت الأفضل للقيام بهذا الدور».

رفع يده فوق رأسه، وسقط زرار البيجاما، وقفت وأعادته من فوق السجادة وقالت «البيجاما صغيرة جداً».

«أنا أكبر من روجر !!»

«أتريدين أن أخيطه لك ؟»

«هذا عمل من صميم شئون الزوجة»

«هناك إلتزامات لدورى !!»

وهو يخرج من الباب نادته قائلة «أنت على حق فى إقتراحك سأبقى هنا ولو شعرت بالملل سأبحث عن عمل إضافى»

«أعرف أنك ستوافقين على إقتراحى، وهذا ما يعجبنى فيك يا إيما، أنت متعقلة جداً».

قالت فى سرها لو يدرى، كم كرهت المنطق والعقل والحكمة، وكم هى تحبه وتريد أن تلقى بنفسها على صدره !!.

الفصل الحادى عشر

اللعبة

لم تندهش إيما عندما إختلق بيريت عذراً لعدم ذهابه معها هى وساندى إلى هاروجيت، متعللا بموعد مفاجىء. مع ذلك، رتب وجود سائق يوصلهم، وبالفعل قضت معظم اليوم فى التسوق.

لإحساسها بالألم من شجاره معها، نفست كل مشاعرها ولم تقتصد فى شرائها وإختارت كمية هائلة من الملابس دون إلتفات لثمنها. وقالت لنفسها ربما وجدها ساذجة وليست مثل اللالىء عرفهن، لكنها ستظهر كيف يمكن أن يكون إنتقام زوجة ومربية عذراء !!.

وتساءلت إلى متى سيدوم هذا الزواج الأفلاطونى.

عادت هى وساندى إلى المنزل، بينما الثلج يتساقط، ويغطى سطح المنز والمدخل والأشجار. إنه مشهد تقليدى للكريسماس وشعرت بالدموع تبلل رموشها وهى تتساءل كيف كان سيكون هذا الكريسماس فى أكمل أبهة لو كان بيريت كما تحبه.

www.elromancia.com

سألتها ساندى «هل يمكننى ارتداء فستان السهرة الليلة ؟» .

«أظنك يجب أن تلبسيه فى الكريسماس ، لكن لا يهم»

ردت ساندى وكأنها تقلد أبيها «طالت قلت هذا ؛ يا إيما» وهى ترقص صاعدة السلم .

شاهدت إيما مبتسمة ، هذا تغير سعيد ما جرى لساندى .

خلفها سمعت باب غرفة الجلوس يفتح لتواجه الوالد . حماها «هل كان يوماً ناجحاً ؟»

«لكنه مكلف ، سيصدم بيريت عندما يرى الفواتير» .

«لكنه لن يصدم عندما يراك أنت وساندى فى الملابس الجديدة !! الآن تعالى اجلسى بجوار المدفأة ولتشربى معى الشاى» .

سألته «هل مازال بريت فى المصنع ؟»

«لا ، ظل هناك ساعة واحدة ، ثم ذهب ليتمشى فى الحديقة ثم عاد نصف متجمد أيضاً ، كان الأفضل لو ذهب معك إلى هاروجيت» .

«ربما كان توتر أكثر!!» .

«لا أظن ذلك ، أعتقد أنك الإنسان الوحيد الذى يمكنك تهدئته ، فهو مهتم بك من أعماقه ؛ كما تعرفين» .

جاهدت لتحافظ على ملامحها وتترك الوالد غارقاً فى أوهامه . فهو يريد تصديق أن إبنه الأكبر سعيد ، لكنه سيدرك سريعا كذب ذلك .

واصل الرجل العجوز حديثه «لم أفكر أبداً أنه سيتزوج مرة أخرى بعد إيلين ، لقد عاش معها فى جحيم وخشيت أن يدفعه ذلك لعدم الزواج بقية عمره» .

أمسكت إيما لسانها .

واصل الوالد حديثه «أفترض أن بريت أخبرك بذلك ؟ لكن صمتك يحيرنى» .

تلعثمت «لم يخبرنى ، لكن القليل الذى أعرفه جاء على لسان ديانا» .

بدا الرجل غير مصدقا «كل ما يمكنها فعله هو ترديد رواية أبويها ــ وهما لاشرف لهما مثل إيلين !!» .

«غير شرفاء ؟» .

«تماماً . هذا إعتقادى ــ كان هكذا دائماً ــ كانوا مخادعين منذ البداية» .

لم تدرى عما يتحدث وقرأ هو ملامح وجهها فإنفجر «ربما يطول صمت إبنى للأبد بسبب رقته وأدبه ، لكنك تستحقين معرفة القصة كاملة» .

ردت بسرعة «ربما لا يريد بريت أن أعرفها ، ولذا ..»

قاطعها «بدءاً ذى بدء ، هل تعرفين أن إيلين كانت أكبر من بريت ، طبعا ؟» .

«لا ، لا أعرف !!» .

«حسنا ، كانت أكبر منه بتسع سنوات» .

إندهشت إيما «لا يبدو عليها ذلك فى الصورة التى رأيتها ، أظنها صغيرة وجميلة» .

«لسوء الحظ ملامحها لا علاقة لها بشخصيتها ، ولم يدرك بيريت ذلك إلا بعد فوات الأوان . كان عمره إثنين وعشرين عاماً عندما قابلها وإستحوذت عليه تماماً «تناول قطعتى خشب وألقى بهما فى المدفأة وإندلع اللهب مثل شرارة الغضب .

«لقد إستدرجته ؛ وألقت بشباكها عليه ولم تتركه وحده .

لقد حذرته ألا يرتبط لها لكنه كان مولعا بها ولم يستمع لى، وبمرور الوقت عاد له عقله لكن بعد فوات الأوان، أخبرته أنها حامل وفى إنتظار إنجاب طفل وهددته بالإنتحار إن لم يتزوجها؛ وألحت عليه ألا يذعن لها ولإبتزازها، ولكنه قال أنه مجبر أخلاقيا على الزواج منها».

«لو لم يتزوجها وحدث لها شىء لكانت سمعته قد دمرت».

«هل أخبرتك ديانا بذلك أيضاً؟»

«نعم».

«ليس حقيقيا. لم يكن بريت مشهوراً وقتها، كان فى بداية مشواره ولم يكن بوضع إهتمام الصحافة.

لا، لقد تزوج إيلين للسبب الذى قاله لى ــ الإلتزام الأخلاقى ــ وبعد عدة أشهر إكتشفت حماقة اللعبة».

«ماذا تقصد؟»

إرتعشت يد الرجل «كان الحمل مجرد إختلاق لا أساس له من الصحة»

«لكن ساندى..».

«ولدت بعد ذلك بعدة أعوام. ليس لأن إيلين كانت تريدها ــ لم يكن لديها أدنى مشاعر أمومة فى قلبها ــ بل لأنها فكرت بأن إنجاب طفل من بريت سيجبره على البقاء معها».

حاولت الاقتناع بروايته لكن إحساسها حذرها من إحتمال إنحياز الرجل لإبنه مثلها إنحازت ديانا لشقيقتها.

«إن كان بريت تعيسا معها، لماذا لم يهجرها عندما إكتشفت أنها ليست حاملا؟».

«لأنه طيب القلب جدا، حاول أن يتركها مرتين فى العام

الأول؛ وبعد ذلك ولدت ساندى وبذل كل جهده لإنقاذ زواجه، لكنها كانت معركة خاسرة. كانت إيلين متقلبة عقليا مهووسة غيورة ــ شىء يعرفه والديها، ورغم ذلك أخفوا هذا وهى صغيرة حاولت أن تقتل ديانا لأنها ظنت أنهم يحبونها أكثر منها. أتفهمين، لو أحبتك كانت تريد امتلاكك مائة بالمائة، تريد أن تعرف فيما تفكرين، ماذا تفعلين أو تقولين».

«مؤكد أنه كان يشعر كأنه سجين».

«يقضى حكم مؤبد. ولذا كان السباق هو مهربه الوحيد. فى البداية كان هواية، وليساعد فى الدعاية لسياراتنا، ولكن كلما ساءت أوضاع حياته الزوجية، بدأ ينغمس أكثر. كان يخاطر مخاطرات غير معقولة، كأنه يتمنى الموت. وطبعا هذا أتعب إيلين أكثر».

«فهمت؛ لو كنت تحب شخص، لن يريحك معرفة أنه يعرض نفسه للخطر بلا مقابل».

«أظن مرت بإبنى أوقات كان الموت أفضل عنده من الحياة مع زوجته» تنهد الرجل العجوز وأضاف: «فى الواقع عند مرحلة معينة، قررت الإنسحاب من السباقات، ما لم يقرر بريت الذهاب للعمل لشركة أخرى. وعندئذ فيما يشبه المعجزات تغيرت إيلين، كان عيد الكريسماس وكانوا هنا، رأيت بنفسى ولم أصدق، فلقد توقفت عن سيطرتها وإستحواذها؛ لاتغضب لو تحدث بريت مع إمرأة أخرى، وبعد ذلك هربت فى جولة حول أوروبا مع رجل آخر ــ لمجرد أن تظهر لبريت أنها لن تقيده بها!!».

«إسلوب درامى!!».

«هذه هى إيلين؛ تفعلين أشياء متطرفة جداً؛ ولم تفطن أنها

قدمت له الفرصة التى كان ينتظرها ؛ كتب لها يخبرها أنه سعيد لتعرفها على رجل آخر وأنه سيبدأ إجراءات الطلاق . عادت إيلين مفزوعة وتقول أنها كانت تحاول إظهار عدم تسلطها عليه ، وتوسلت أن يتيح لها فرصة أخرى . لكن لم يعد بريت يطيق ، لقد نفذ صبره ؛ وقال أن الأفضل لهما أن يذهب كل منهما لطريقه ، وعاد إلى البرازيل وبصحبته ساندى ــ وعاد إلى البرازيل قد تركتها أثناء جولتها فى أوروبت . حسنا ، طبعا لن تتخلى عنه إيلين بسهولة ولاحقته بالمكالمات والرسائل . وبالفعل جرحت معصمها وهى فى غرفة الإنتظار بعيادة طبيبها ــ لتتأكد من إنقاذها . دائماً كنت أقول ــ وأخيراً وافقنى بريت على إرجاعها . وكانت فى طريقها إلى ميرتولا عندما لقيت مصرعها فى حادث تحطم طائرة !! .

ظلت إيما تحاول إستيعاب ما سمعته لعدة دقائق . فليست هذه نفس القصة التى يمكن لشخص أن يعيد نسجها وفقا لرؤيته الشخصية ؛ لكنها قصة مختلفة عما حكته ديانا لها ، ولكن يجب عليها إعمال عقلها لتقرر أياً منهما التى تصدقها .

« هل قلت أن إيلين لم تكن هاربة من بريت عندما قُتلت ؟ » .

« لماذا تفكرين هكذا !! حتى أصلها لا يمكنهم أن يكذبوا ما قلته !! » .

« أخشى أن ديانا كذبت ذلك » .

« همس مزمجراً غاضباً ، ثم هز رأسه وقال « أجرؤ على التصريح بأن بريت كان لعبة فى أيديهم بالطريقة التى تصرف بها بعد مقتلها . ظل يلوم نفسه على ما حدث ، وقال أنه كان يجب عليه تفهمها أكثر ومحاولة مساعدتها . لكن صدقينى ؛ لم

يكن بإمكانى أن يفعل شيئاً . لم تعترف بحقيقة كونها مريضة ، ولم تعترف حتى بأى خطأ من ناحيتها » .

إقترب الرجل العجوز بمقعده من المدفأة ، كما لون ذكرى الأحداث التعسة قد أصابته بالبرد وأضاف « كنت أتمنى أن موتها سيمكنه من العيش طبيعياً . لكن ما حدث كان العكس تماماً . لم يعد يثق فى أى إمرأة ورفض الإرتباط جديا ؛ وبدأ يتورط فى علاقة إثر أخرى ، ولو أظهرت أى إمرأة إهتماماً به يتباعد عنها ، ولم أكن أصدق أننى سأعيش لأشهر يوم زواجه مرة ثانية ، ولكن هذا يظهر ما يمكن أن يصنعه الحب !! لقد قال بريت أن مجرد نظرة واحدة إليك حررته من أوهامه ومخاوفه » .

ذهلت إيما « حررته ؟ »

« هذا ما قاله » تحرر من أوهامه وأصبح بإمكان أن يحب إمرأة دونما خوف من محاولتها تدمير شخصيته » .

أطرقت إيما ، وهى تقول فى سرها كم هو كاذب وذكى بريت !! وقدرت له محاولته طمأنه أبيه ؛ ولكنها تمت لو أنه لم يتظاهر بكل هذا القدر من حبه لها وعشقه .

واصل السيد آدامز حديثه « يعتبرك الشهاب الذى أظهر له الحقيقة وقال لى « عندما أستمع إليها وأغيب عن العالم !! »

هذا كثير جداً ولا تطيق تصوره لذا هبت واقفة على قدميها وصاحت :

« ليس صحيحاً يا مستر آدامز ؛ لا يمكننى فعلاً .. لا أريد أن أكون جزءاً فى المزيد من الأكاذيب » .

« أكاذيب ؟ » ذهل مستر آدامز « لا أدرى ماذا تقصدين ؟ » .

« أقصد أن بريت يكذب عليك ، هو لا يحبنى ؛ لم يحبنى

أبداً. تزوجنى حتى أصبح الوصية الشرعية على ساندى لو حدث له أى شىء؛ فهو قلق جداً بأن يتمكن أهل زوجته..».

ضحك السيد آدامز مقهقهاً وقطع بقية حديثها.

وقال بعد أن هدأ «أنت مخطئة تماماً، ياعزيزتى، ساندى ستعيش مع إبنة أخى مارى؛ فهى متزوجة ولها ثلاث أبناء، ولن يسعدها قدر سعادتها بأن تصبح ساندى إبنتها الوحيدة. لقد تربت مع بريت ستقابلينها هى وعائلتها غداً».

تساءلت حائرة «إذن لماذا تزوجنى؟»

«لنفس السبب الذى تزوجتيه، أصارحك بذلك؛ ولاتتوقعى أننى أصدقك إذا قلت أنك تزوجينه لرعاية ساندى ربما أنا عجوز وهذا يكفينى لكننى لست مغفلاً ساذجاً!!».

تلعثمت إيما وغرقت فى خجلها فهى لاتستطيع الكشف عن مشاعرها الداخلية لكنها تحب الرجل العجوز ولاتريد أن تكذب عليه.

سألته بصوت مرتعش «هل فضحتنى عيونى؟».

«بالنسبة لى؛ بالتأكيد؛ لكن ربما الآن سنوات عمرى المديدة أكسبتنى القدرة على رؤية ماوراء التل وما هو مخبوء خلف أشجار الغابة. أعرف أنك تحبين بريت. والصب تفضحه عيونه، وعندما تنظرين إليه، نظراتك تشع بالحب، وكذلك نظراته إليك!! شاهدته بتجول هائماً على وجهه عند الشاطىء شوقاً لك ليلة أمس، لم أراه هكذا أبداً متيماً بالحب. ولم يعد يدرى لأى مدى شردت به مشاعره!!»

«لا أصدق هذا!!»

أضاف الرجل مؤكداً:

«خذى كلامى مأخذ الجد، لاأكذب عليك ياإيما، لاضرورة لذلك. إبنى يحبك أنا واثق من حبه لك».

كانت إيما على وشك الإسراع للبحث عن بريت. لكنها أمسكت نفسها، فهى مذعورة من إحتمال أن حماها يقول ما يعتقده؛ ولا يوصف حقيقة الوضع. على الجانب الآخر؛ ربما يكون صحيحاً؛ ولو كان كذلك، فماذا يمكنها أن تفعله؟.

همست إيما «أظننى يجب أن أذهب للبحث عن ساندى، وأشكرك على الشاى وكل ماقلته لى».

«هل ستصدقيننى وتتصرفين على أساسه؟»

«لست واثقة».

«سترتكبين خطأ فظيعاً إن لم تفعلى».

دقت كلامته ناقوس إنذار داخلها وإنصرفت لتبحث عن ساندى.

الفصل الثانى عشر

مصارحة

إنتهت جولة إيما فى أرجاء المنزل عند المطبخ، حيث وجدت ساندى تساعد السيد إيسيون فى إعداد اللحم. يا لها من طفلة محبوبة. وتخيلت إيما كيف كان حالها قبل وصولها إلى البرازيل لتصبح مربيتها، وشكرت رحمة القدر التى دفعتها لقبول تلك الوظيفة. فهى لم تكن تعرف إلا القدر الضئيل ولم تكن تدرى عندما قبلت هذا العمل، أن حياتها ستتغير كلية وأن حياة الطفلة أيضاً ستشرق شمس سعادتها، وتستعيد مرحها وعفويتها.

وتساءلت حتى لو كان حماها على حق.. لكن لا يمكن أن يكون!!

على الجانب الآخر هل بإمكانها تجاهل سؤال بريت؟ خطر لها أنه سيذهل لو سألته؛ وسينكر بسعادة لهذا هربت من هذا العار وأبعدت الفكرة عن ذهنها.

لكن لم يجدى شيئاً، وسيطرت على وإستحوذتها الرغبة لسؤاله. وتساءلت هل تمنعها كرامتها من المخاطرة بسؤاله حتى لا يشمت فيها؟ حتى لو لم يكن يحبها، ربما بدأ يهتم بها، وقد

يعترف لو أفصح عن حقيقة مشاعره.

نظرت إليها ساندى ولوحت بيدها، وخفق قلب إيما بالحب، وهى تتخيل مدى سعادة الطفلة لو ثبتت حقيقة أن أبيها يحب إيما زوجته، ولذا قررت أن تتحدث معه.

سألتها الطفلة «هل رأيت بابا؟».

«أظنه ذهب لفحص أحد السيارات فى الجراج».

تسللت إيما عبر أحد الأبواب الخلفية، كان الثلج يتساقط بغزارة، والسماء تغيم وتتكاثف عتمتها بحلول المساء، إتجهت ناحية الجراج، ومع كل خطوة تخطوها يتزايد إنفعالها. وهى تتساءل لو كان بيريت مهتماً بها فلماذا غير رأيه بشأن سفرها هى وساندى معه؟ هل يكرهها لدرجة عدم تحمل وجودها معه؛ أم يحبها لدرجة لا يريد أن يحملها عبء حياته الآن؟ يجب أن تعرف الحقيقة، لأن علاقتها لا يمكن أن تستمر على هذه الوثيرة؛ فهى لم تكن تدرى قبل الآن أن ساندى ستعيش مع إبنة عمه.

وهى تعرف فى حالة تكذيب بريت لأراء أبيه عن حبه لها، لن يكن أمامها سوى العودة لعملها فى مدرسة الحضانة.

وصلت إيما الجراج وقلبها مثقل بالهموم، سمعت أصوات، ولكنها عندما دخلت لم تجد سوى السائق؛ ورجل فى متوسط العمر خرج من سيارة بى. إم. ديليو؛ وقال على الفور «أنت زوجة بريت؟» وإقترب منها وهو يمد يده ليصافحها «أنا ماركوس لونج بريدج، زوج عمة بريت».

عادت إيما بصحبته إلى المنزل وهى تجيب عن ساندى وبريت، وبعد ذلك لم تستطع إسترجاع ما قالته له.

قال لها «تعالى معى إلى المكتبة لتقابلين بقية أسرتى»

وهو يخلع معطفه ويسلمه لايبسون.

فى هذه اللحظة لاتقوى على تبادل أى حديث مع إناس لاتعرفهم؛ ولو حتى كانت تعرفهم، ولذا غمغمت بأنها ستذهب إلى غرفتها أولاً، وصعدت السلم بسرعة.

كانت على بعد عدة أقدام من باب غرفتها عندما إنفتح الباب وخرج بريت؛ كان مرتديا البيجاما وقال مازحاً «لقد أعددت سريراً لمبيتى فى غرفة روجر».

«أظنك كنت تعاند فى فعل ذلك؟».

«الضرورة تفرض ذلك هرباً من الرغبات الشيطانية؛ طبعا لاأقصد أنك السبب، لكن واضح أن وجودى يثير أعصابك..».

قاطعته إيما «ناقشنا ذلك» وإندفعت من أمامه وهى تضيف «يجب أن أتحدث معك».

سألها «حول ماذا؟» ودخل خلفها وأغلق الباب.

«تتحدث عنا نحن الاثنين؛ ولماذا لم تخبرنى أن إبنة عمك سترعى ساندى وتعيش معها لو حدث لك أى شىء؟».

«آه، هكذا» إستند على الباب «من الذى تحدث معك؟».

«أبوك».

لم ينطق بحرف.

«لماذا تزوجتنى تحت إدعاء مزيف؟».

«هل يهمك؟».

«طبعا يهمنى!! لم أكن لأوافق لو عرفت الحقيقة».

«ولهذا لم أخبرك بالحقيقة!! كما تفهمين، ظننت ــ ومازلت أعتقد ــ أن ساندى ستكون أسعد فى حياتها معك

أكثر من أى شخص آخر. أحب مارى بإخلاص، لكنها لديها ثلاث أولاد أشقياء وساندى لن تطيق حياتهم. لكنها معك ستكون موضع رعاية وإهتمام».

يالله من سبب وجيه ولم ترد إيما.

واصل بريت كلامه «حسنا؟ أراضية أنت؟»

«أظن ذلك» لكنها ليست راضية وستندم على جبنها لو ظلت صامتة، ولذا أضافت «هل فقط بسبب ساندى ومن أجلها تزوجتنى؟».

«يجب ألا تنصتى لكلام والدى يا إيما فهو مغرم بالأوهام والتصورات الرومانسية».

«مثل إفتراضه أنك تزوجتنى لأنك تحبنى!»

«ياربى!! هل هذا ما قاله لك؟».

كانت ترتعش لدرجة تعجزها عن مواصلة الوقوف «ضمن أشياء أخرى؛ هل هو مخطىء يابريت؟».

«مخطىء».

«لاتراوغنى!! كن مريحاً معى ولو لمرة واحدة فى حياتك. لاأستطيع أن أجاريك فى مثل هذه الألاعيب يابريت. أنت رجل عالمى!!».

«كذب وادعاء؛ بل أن الذى أود أن أقول لك مثل هذا الكلام، ماذا فعلت بى!! مجرد نظرة واحدة إليك من عيونك الجميلة ولاأدرى إن كنت قادماً أم ذاهبا».

وفى سورة غاضبة ألقى بالملابس على الأرضية «ألا تعرفين ماذا فعلت بى؛ بحق الرب؟»

«لو كنت أدرى ما كنت سألتك!! هل تزوجتنى من أجل ساندى أم لا؟».

www.elromancia.com

«لا، لا!! بل من أجلى أنا.. لأننى أحتاجك!! وأحبك، لا أدرى متى بدأت أدرك ذلك لكننى فجأة عرفت أننى لا أطيق إبتعادك عنى. وعندما رأيت كم أنت مغرمة بساندى، أنا..»

لم تدعه يكمل وصاحت فرحاً وألقت بنفسها فوق صدره «أحبك أيضاً!!» وبكت فوق صدره كطفل يرتاح فى أحضان أبيه «ألم ترى، ألم تفهم، لماذا لم تصارحنى؟».

«هل تحبننى؟ هل تفهمين ما أقوله؟»

«أفهمه جيداً، أحبك يا بريت، وكنت سأخفى ذلك ألما لولا كلام أبيك».

«كان صعباً على أيضاً، لاتتصورين كم أحبك؛ لم أكن أصدق أنك تحبيننى».

«أحبك ولا أطيق العيش بدونك، أقسم أننى لم أعرف الحب قبلك».

«أحبك وأقسم أيضاً أننى لم أحب إمرأة غيرك».

«إذن لماذا تمتعنى من السفر معك؟».

«كنت مرعوبا من إنكشاف حبى لك وأنا غير واثق من مشاعرك، لذا قررت الإبتعاد».

إنسالت الدموع الحارة.

«هل هذا وقت البكاء!!».

«دائماً أبكى عندما أكون سعيدة».

«إذن يجب أن أشترى أسهماً فى مصانع المناديل الورقية كلينيكس، لأننى أنوى أن أجعلك سعيدة بقية العمر!! لقد سحرتنى يا إيما وأنقذتنى، هل ستسافرين معى حول العالم يا إيما؟».

«سأذهب».

«حبيبتى لم أعد راغبا فى التجوال، لقد إنتهت أيام السباق، هذا ما أقوله».

نظرت إلى وجهه فى ذهول.

«أعنى ما أقول، لا أريد المخاطرة بحياتى بعد ذلك، حياتى تستحق أن أعيشها الآن».

«هل ستكون سعيداً بدون سباق؟ بعض الرجال مولعون بهذا النوع من الإثارة».

«لست أنا؛ لو كنت سعيداً مع إيلين لكنت إعتزلت منذ سنين. وعندما ماتت وجدت من الصعب الإنسحاب، إعتقدت أننى المسئول عن وفاتها، ولهذا لم يكن أمامى طريق للتكفير عن ذنبى إلا الاستمرار».

داعبته «لن تصبح مقيماً فى المنزل!!».

«ليس بصفة دائمة، سأقوم بدور مدير المبيعات للشركة؛ وهذا يتطلب السفر حول العالم لعدة شهور سنسافر سويا».

سمعا أصوات ضحكات وبوق سيارة أمام المنزل؛ وقال لها:

«هذه مارى وزوجها جاك وأطفالهم، ستحضر لساندى عروسة هدية عيد الكريسماس».

«يا لها من هدية رائعة!! كنت أتمنى شراء هدية خاصة لك يا بريت، أزرار ذهبية!!»

«وأنا أيضاً، واشتريت لك عقداً ذهبياً».

«أنت أفضل هدية لى، يكفينى أنت».

«وأنت هدية الرب لى؛ لقد أشرق فجر حبى مع عيد الكريسماس ويكفينى هذا».

www.elromancia.com